رؤية بنائية مقترحة لتوطين المفاهيم الوافدة فى الفكر التربوى العربى على ضوء مدخل إعادة بناء المفاهيم "مفهوم المواطنة العالمية أنموذجًا"

إعـــداد

د/ إيمان جمعة محمد عبد الوهاب

مـــدرس أصـــول التربيـــة

كليـــة التربيـــة – جامعـــة بنهـــا

رؤية بنائية مقترحة لتوطين المفاهيم الوافدة فى الفكر التربوى العربى على ضوء مدخل إعادة بناء المفاهيم "مفهوم المواطنة العالمية أنموذجًا "

إعداد

د/ إيمان جمعة محمد عبد الوهاب

مدرس أصول التربية

كلية التربية- جامعة بنها

ملخص البحث

باتت الحاجة إلى توطين المفاهيم الغربية الوافدة فى الفكر العربى ضرورة ملحة فى ظل أوضاع عولمية جعلت من الصعب تجنب عمليات المثاقفة والاحتكاك الثقافى مع ثقافات أخرى، وما يتبع تلك العمليات من وفود مفاهيم محملة بدلالات ومضامين هى نتاج بيئاتها، وبالتالى تأتى عملية إعادة بناء المفاهيم الوافدة كضرورة ملحة ووسيلة أساسية للتعامل مع مثل تلك المفاهيم؛ للكشف عن دلالاتها ومضامينها وعوامل الالتباس فيها، وتحديد مدى قابليتها للتوطين فى الفكر التربوى العربى، وإمكانات توظيفها تربوياً. وانطلاقاً من ذلك يهدف البحث إلى وضع رؤية بنائية مقترحة لتوطين المفاهيم الوافدة فى الفكر التربوى العربى على ضوء مدخل إعادة بناء المفاهيم مع التطبيق على مفهوم المواطنة العالمية، كمحاولة للكشف عن الدلالات والمضامين وعوامل الغموض التى ينطوى عليها هذا المفهوم، والتصدى لكافة عوامل الاغتراب، وأشكال الهيمنة، والالتباس، والتناقض، واللامعقولية التى تحيط بالمفهوم وإعادة بنائه من أجل توطينه وتوظيفه تربوياً بالشكل الذى يتناسب مع طبيعة الفكر التربوى، ومبادىء التربية العربية.

الكلمات المفتاحية:

إعادة بناء المفاهيم، توطين المفاهيم، المفاهيم الوافدة، المواطنة العالمية، الفكر التربوى.

مقدمـــــة:

مرت عمليات بناء المعرفة عموماً، والمعرفة الإنسانية بشكل خاص بتاريخ طويل، تمتد جذوره إلى عوامل وجودية مرتبطة بعلاقة الإنسان كذات مفكرة مع الواقع الذى تتحرك فيه ناقدة لـه، وتحـاول أن تجيـب عـن إشكالياته المتطـورة والمركبـة؛ ومـن الفلسـفة الأم انبثقـت مسـاحات معرفية عديدة تركز اهتمامها حول مسائل معرفية معينة تحاول أن تؤسس لفهم ما يدور بالواقع، وتكتشف قوانين الحياة، وتسعى إلى إدراك الحقائق، وتستهدف استجلاء المضامين، ومن أبرز هذه المسائل المعرفية التى تطرح نفسها بقوة على الساحة الفكرية هى مسألة بناء المفاهيم وإعادة بنائها، والتى تأتى كجزء أساسى من الاهتمام بتطور الفكر الإنسانى بصفة عامة.

فقد أدى البحث المستمر في أصول المعرفة وتشكلها إلى ظهور علم المعرفة (الإبستيمولوجيا) الذي يسعى إلى البحث في مبادئ العلوم، وتفسير التطور الفكري للإنسان، والوقوف على تاريخ المعرفة، عبر البحث في تشكيل المفاهيم عند الفرد في مختلف مراحل حياته، انطلاقاً من اعتبار المعرفة جملة المفاهيم، والتصورات، والمعاني، والمعتقدات الفكرية التى يحصل عليها الإنسان في محاولاته المتكررة للبحث عن مسببات الظواهر والأشياء وفهمها. (عثمان وبرادعى،٢٠١٧، ٥٧).

ومع الاتفاق على أن المعرفة تمثل خلاصة الممارسات العقلية للإنسان، وتتشكل ضمن أطـر ثقافيـة وحضـارية محـددة، وتـدخل فـى علاقـة تعـاطى أومثاقفـة مـع أطـر أخـرى ثقافيـة وحضـارية، فـإن السـؤال يظـل مطروحـاً حـول المعنـى الجـوهرى وتطـورات البنـاء العلمـى للمصـطلحات والمفـاهيم، وانضـباطها فـى مـواطن اسـتخدامها علـى المسـتويات كافـة . (نـافع، ٢٠١٤، ١٠-١١).

ولهذا تعد دراسة المفاهيم من القضايا البحثية الهامة لأسباب عديدة منها: العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية، حيث تعتبر المفاهيم الأداة الفعالة التى تلخص الخبرة العقلية للفرد، بالإضافة إلى دورها الفعال فى عملية الفهم فهى تعتبر عاملاً أساسياً فى تفكير الإنسان وإدراكـه.(النقيب؛ والميمـان، ٢٠٠٢، ٩١-٩٢) ونظـراً لأهميـة المفـاهيم ومـدى خطورتهـا فـى إحداث التغيير الفكرى والتحول الحضارى الذى تنشده الأمم، فإن بناءها فى إطار ثقافى قومى يعد ضرورة معرفية بالغة الأهمية من الناحية الحضارية عامة ومن الناحية العلمية خاصة. (توفيق؛ وموسى، ٢٠٠٧، ٣٤٢).

فالمفاهيم تعتبر مفاتيح العلوم فى أى مجال معرفى، كما أنها تشكل أساساً مهماً فى الخطاب مهما كان نوعه، حيث تتمركز فى ثناياه عبر مواقع استراتيجية، ليؤدى وظائف رئيسة فى الإمساك بمفاصل الخطاب، وتوجيه مراميه الجوهرية، وإرسال المضامين الخفية الكامنة وراء توجيه الخطاب. وعلى ذلك تؤكد دراسة (اللويحق،١٤٣٠هـ،٤) أن للمفاهيم أهميتها وخطرها، فهي قاعدة المعرفة الرئيسة على اختلافها، وهي اليوم تقع في قلب دوائر الصراع الحضاري والفكري بين الأمم، بل وفي داخل الأمة الواحدة؛ مما يوجب العناية بالمفاهيم تحقيقاً للأمن الفكري لأمتنا العربية تمهيدًا لصياغة نظرية شاملة للمفهوم.

خاصةً وأن المعركة الدائرة اليوم بين الشرق والغرب فى جانب مهم منها معركة مفاهيم يحاول الأقوى منها – والمقصود الغرب– ضخ أكبر قدر ممكن من المفاهيم المعبرة عن هويته وثقافته، ويعرضها فى سوق الثقافة العالمية معبأة بأنماط حياته، وأساليب تفكيره، ويفرضها على الأضعف بأساليب مختلفة قد تنطوى على الترغيب أوالترهيب. (الحاج، ٢٠١٣، ٢٠٤) وهذه المفاهيم هى ما يمكن أن نطلق عليه المفاهيم الوافدة.

وتؤكد دراسة (شبار، ١٤٢١هـ، ٣٠) أن هذه المفاهيم الوافدة أصبحت أدوات هذه المعارك الجديدة، من خلال التسلل عبر مفاهيم ومصطلحات الأمة ذاتها، والعبور من خلالها بعد إعطائها دلالات جديدة، وتفريغها من مضمونها الثقافى ورصيدها الوجدانى، وربطها بأحداث جديدة، وتحويلها إلى مدلولات جديدة تعدو على قيمها الفكرية والثقافية، وتخرج الأمة من ذاتها.

وبالتالى فإن الإشكالية الكبيرة اليوم فى ليست فى المفاهيم العلمية فى مجملها، وإنما تكمن الإشكالية فى المفاهيم الفكرية والثقافية التى تشيع وتحاول أن تكتسب صفة العالمية، لأن المفاهيم الفكرية هى تعبير عن قسمات وملامح شخصية الأمة وميراثها الثقافى وركائزها الثقافية، وهى وليدة الذات وخصيصة اللغة، لذا فإن محاولة التأثر بها والتفكر من خلالها دون وجود رؤية واضحة للتعامل معها يمكن أن يحدث بلبلة فكرية، وخلط والتباس فى الفهم، واضطراب فى الفكر والثقافة، وتبديل مفاهيم القيم الضابطة لمسيرة الأمة ككل. (شبار، ١٤٢١ هـ، ٣٠)

ولطالما ندد المفكرون بتجذر إشكالية المفاهيم فى الفكر العربى، خاصة بعد التشابك والتداخل الحادث بفعل المتغير المعرفى والمعلوماتى، وعددوا مظاهر كثيرة لتلك الإشكالية، والتى من بينها الاضطراب الدلالى، وتعارض المفاهيم، وشيوع الغموض، وشحن المفهوم والمصطلح بدلالة مغايرة لأصل دلالته، ونقل مصطلح ذى دلالة محددة من الثقافة الغربية دون

مراعاة لخصوصية المنشأ، وإضافة دلالات جديدة على المصطلح الذى أنتجته الثقافة العربية فى الماضى، أو انتزاعه من حقل معرفى لاستعماله فى حقل معرفى آخر دون مراعاة خصائصه فى الحقل الأصلى مما أصاب المفاهيم بالتشويش، الأمر الذى أسهم فى كثير من حقول المعرفة إلى ممارسات تفتقر المقومات العلمية فى إعادة بناء المفاهيم وضبطها وتحديدها. (نافع، ٢٠١٤، ١٠-١١)

وتؤكد ذلك دراسة (تويج،٢٠١٧، ٢٥٣) التى توصلت إلى أن المفاهيم في الفكر العربي المعاصر تعاني من الإبهام والالتباس، رغم توجه بعض المفكرين العرب لنقدها، غير أن تلك المحاولات النقدية لها لم تفيد في إيضاحها بل زادت في إبهامها والتباسها، وقد توصل البحث إلى نتائج بشأن ذلك أهمها: أنهم ركزوا على تفكيك المفاهيم دون محاولة إعادة إنتاجها مما زاد في إبهامها والتباسها، ومع أن هذه المحاولات مهمة لكنها لا زالت قليلة، ونحن بأمَسِ الحاجة إليها.

وفى ذلك يؤكد (ديانى،٢٠١٧، ٩) على أن ضعف تأصيل المفاهيم، والفوضى التي تسم الوضع الفكرى العربي المعاصر لا يمتان إلى اللغة العربية بصلة، وهي منهما براء؛ بل إن أسباب ذلك تعود إلى فقر التراكم العلمي العربي المعاصر من جهة، وإلى تهاون الباحثين العرب في تأصيل فهم عربي صحيح وفق نسق متسق للمفاهيم الموظفة من جهة ثانية.

لذلك يرى (آل حبيل،٢٠٠١، ٩٩) أنه فى ظل خطاب كخطاب العولمة والعالمية ومحدثاتها، ومع صعوبة البقاء خارج دائرتها، فإن سحب الخطاب العربى نحو مزيد من حرية الرأى، ومزاولة الجدل والمساجلة بالمزيد فى الاستفاضة الثقافية، يفضى إلى نقدانية تسهم فى تحريك البنى الفاعلة للمفاهيم، وتؤسس لقابلية التعدد وشراكة الآخر، وتقعيد مبدأ نسبية الحقائق والمفاهيم فى شتى شؤون الحياة، فالقراءة المتأنية لطبيعة المفاهيم المشتركة من حيث بنيتها، وأصولها المعرفية والعقدية، ونسبية حقائقها، وتعدد معناها ودلالتها وضرورتها التاريخية، هى ماتحدد معايير قبوله المشترك من عدمه .

كما يرى (النحراوى، ٢٠١٦، ٢١٢) أن الظروف التى يمر بها العالم العربى تفرض علينا مراجعة المفاهيم وإعادة النظر فى المضامين والوقوف طويلاً أمام المصطلحات للتأمل والتمعن والتحقق من بنيتها، على ضوء المتغيرات المتلاحقة التى تطبع حركة التاريخ فى هذا العصر ومن خلال رؤية عربية إسلامية مستنيرة ومستوعبة لمختلف الأوضاع وفقاً للمفهوم العربى الاسلامى للمراجعة والتطوير والتحديث والتجديد، مؤدى هذا أن يضع الخطاب التربوى الاسلامى نصب عينيه أن لكل حضارة نموذج أو نظام معرفى.

وأصبح لزاماً عليها كما تؤكد دراسة (العلوانى،٢٠١٦، ٢٣٧) الوقوف أمام المصطلحات الغربية الوافدة وقفة الناقد لا وقفة المستلب، كما ينبغى السعى لا لترجمة المصطلحات ونقلها حرفياً، بل يجب دراسة المفاهيم والمصطلحات الغربية الوافدة والنظر إلي ذاتها وجوهرها فى سياقها التاريخى والاجتماعى، ومن ثم الخروج بمفاهيم جديدة من داخل المخزون المعرفى والتكوينى متجاوزين إشكالية الخلط والفوضى فى استيرادها.

وفى ضوء ذلك جاءت مسألة إعادة بناء المفاهيم عند بعض المفكرين العرب كمشروع معرفى يستمد كل مشروعيته من التفكير الإبستمولوجى، الذى يكشف الوضع المزدوج بين الأنا والآخر، وكانت نقطة الانطلاق فى تلك المسيرة هى التحقق من عدم الملائمة بين الجهاز المفاهيمى للعلوم الاجتماعية وبين نظيره فى المجتمعات الغربية التى زودت مواد التحليل من أجل الإعداد المفاهيمى ووضع الأنساق النظرية، غير أن عملية النقد والبناء هذه لاتعنى رفض الآخر مطلقاً لكن الجهد يتم عبر استيعاب الأخر كمركب يتم تفكيكه ثم إعادة بناء الذات الخصوصية، ليصبح الهدف هو بناء المفاهيم الإنسانية الوافدة بناءً جديدًا تتفوق فيه الصفات العلمية والموضوعية مع قدرتها الإجرائية ، وترفع منه هيمنتها. (خوانى، ٢٠٠٥، ١٥٧)

وبالتالى فبناء المفاهيم وإعادة بنائها هى عمليات أساسية فى أى حقل معرفى لأنها مفاتيح العلم والثقافة وبدونها لا يمكن استقرار علم ولا رسوخ معرفة، ومع اعتبار المفاهيم أدق مواقع الغزو الثقافى، فإن الحاجة تظهر ماسة اليوم لأن يساير إبداع المفاهيم والمصطلحات عملية النمو والازدهار لكل أمة، وإلا فليس أمامها إلا استدعاء لمصطلحات ومفاهيم الآخر فى سبيل الالتحاق به، وتحمل ما قد يتبع ذلك من خطورة على الخصوصية الفكرية والثقافية (شبار،١٤٢١هـ،٢٩)، مالم يتم الحذر المحاط بمؤهلات الاستعداد المعرفى لإعادة بناء المفاهيم وتوطينها بما لا يخل بالمعايير الاجتماعية، والثقافية الذاتية.

وتعد مسألة البحث فى قابلية توطين المفاهيم الوافدة من خلال إعادة بنائها فى الحقل التربوى أهمية خاصة، باعتبار التربية الوعاء الأساسى الحاضن والناقل لما يفد أو يجد من مفاهيم ومصطلحات سواء أكانت مبدعة فى بيئتها، أم مستعارة من حقول معرفية أخرى أوثقافات أخرى، وعليها فى نفس الوقت مسئولية الحفاظ على الهوية وخصوصية الذات العربية.

فقد أكدت دراسة (البقمى، ١٤٣٠هـ، ٢) على أن التربية هى المحور الرئيس لبناء المفاهيم والاتجاهات للأفراد والجماعات في أغلب المجتمعات، وهى كما تتحمل مسئولية بناء

وتكوين المفاهيم والاتجاهات الصحيحة، فإنه يقع على عاتقها مسؤولية الحفاظ على هوية المجتمع من خلال تصحيح المفاهيم والاتجاهات الفكرية الخاطئة وتعديل مساراتها لإرسائها على مداخل الأمن الفكرى والثقافى بمعناه الشامل.

ولذلك حرصت دراسة (الصاعدى، ١٤٣٥، ٤) على إبراز الدور الذى يجب أن تقوم به التربية خاصة التربية الإسلامية فى مواجهة المفاهيم التغريبية الوافدة التى لا تنفصل عن استبطان سياقاتها الفكرية والقيمية، وترعاها من خلال عملها كموجهات للفكر وناقلات للمعرفة، والقيم المحاطة بسياقات بيئاتها.

غير أن دراسة (عبد العال، ٢٠١٠، ٩٣) قد كشفت عن طبيعة الأزمة التى تمر بها التربية وتؤكد أنها لا تتمثل فى نقل المفاهيم والمصطلحات من سياق إلى آخر، لكنها تكمن فى النقل غير الواعى الذى يدخلنا فى مفارقة جديدة من مفارقات الحداثة التى لا تنتهى، دون تبصر بخصوصية الفكر والثقافة التى تفرزها، وما يحدث فى هذه الثقافة من تحولات فى القيم المعرفية والأخلاقية، وبالتالى فإن عمليات النقل والاستعارة للمفاهيم تحتاج إلى مزيد من التروى والتدقيق؛ حتى لا تحدث فوضى فى المعرفة التربوية.

ولهذا تؤكد دراسة(شعيشع، ٢٠١٦، ٣٠١) أن أى إصلاح أوتجديد فى التربية ومفاهيمها ينبغى أن يكون نابع ومشتق من فلسفة المجتمع ومتسق مع ثقافته، ورؤيته لما ينبغى أن تكون عليه التنشئة الاجتماعية لأفراده؛ ولهذا يجب أن نأمن خطورة التبنى السريع للمفاهيم الوافدة من الفكر الغربى بكل ما يحمله من تحيزات للبيئة والثقافة، وبكل من يحمله من دلالات نابعة من السياقات المختلفة للمجتمع الغربى.

وتزداد أزمة التربية – بالأخص– فى التعامل مع المفاهيم الوافدة ذات الطابع العالمى، خاصة مع التغيرات والتطورات العالمية المتسارعة، وإزالة الحواجز بين الدول، وارتباط العولمة ببروز مفاهيم ذات منحى تربوى عالمى، وانتشار هذه المفاهيم الجديدة فى جميع مناحى الحياة؛ وهو ما يشكل تحدياً كبيراً أمام التربية التى عليها مواكبة هذه التطورات، والتعامل مع المفاهيم الجديدة بشكل يحفظ ثقافة وهوية الأمة .(العدوان؛ وبنى مصطفى، ٢٠١٥، ١٢٧)

ومن مظاهر الفكر العالمى بروز مفهوم المواطنة العالمية، وهو أحد المفاهيم المستحدثة الذى كثر الجدل وتعددت الأراء حوله، واختلطت دلالاته فى ضوء الاتجاهات الفكرية والسياسية والأيديولوجية خاصة في السنوات الأخيرة، وصاحبه نقاش أكاديمي واسع بين معارضون يلتزمون بالتعريف التقليدي للمواطنة، وبين مؤيدون يرون أن المواطنة قد اتسع مداها بسبب

عمليات العولمة وإزلة الحواجز بين الدول، والإمكانيات التفاعلية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وانهيار عصا الدولة القومية، وبالتالى يمكن لأشكال جديدة من المواطَنة "غير المقيدة" أن تأخذ دورها في الظهور. (Commaerts & Van Audenhove, 2005, 148)

ومع تزايد الطرح العالمى لمفهوم المواطنة العالمية تزايد الجدل والغموض حول المفهوم مما أثار الحاجة لدراسات تربوية تأصيلية تستدعى مراجعة المفهوم وإعادة بنائه والبحث فى قابلية توطينه. حيث تؤكد دراسة (العامر،٢٠٠٣، ٢٢٣) أن هناك العديد من الملابسات حول مفهوم المواطنة عموماً فى الفكر الغربى المعاصر؛ الأمر الذى يستدعى الحاجة إلى مراجعة مدى صلاحية هذا المفهوم للمجتمعات العربية والإسلامية، خاصة وأن أى محاولة لإضفاء صفة العمومية والعالمية وتجاهل القومية قد يخرج المفهوم عن سياقة التاريخى والثقافى والاجتماعى.

كما ترى دراسة دافيز (Davies, 2006, 5-25) أن بقاء مفهوم المواطنة العالمية كمفهوم جدلي ذو نزعة مجردة تجعله يواجه غموضاً وتناقضاً فى الألفاظ، واستمراره كفكرة جدلية قد يفقدها قيمتها التربوية، ويصعب عملية توظيفها فى التعليم، ويعوق قدرة المناهج على دفع المواطنة النشطة والفعالة والحقيقية.

كما تؤكد دراسة (مهناوى، ٢٠٠٨،٥١) على أن هناك تحد واضح ومتجدد لمبدأ المواطنة ومفهوماتها فى العالم العربى والاسلامى على وجه التحديد، والتى تقوم على الخصوصية الثقافية والانتماء والهوية، وتتعدد العوامل التى تقف خلف هذا التحد لتشمل متغيرات فكرية وثقافية وسياسية واجتماعية تبلورت فى إطار القوى الواحدة فى العالم ونظرتها لمن حولها وما تهدف إليه من مصالح جعلتها تروج لمفهوم جديد هو مفهوم المواطنة العالمية، ومن ثم تبدو الإشكالية فى الإجابة عن سؤال أى مواطنة نريد؟.

وتشير دراسة جونسون (Johnson, 2008, 2) أن انتقال مفهوم المواطنة – الذى يرتبط بطبعه بالهوية الوطنية – من التركيز الفكرى الضيق على السياق الوطنى أو المحلى إلى التركيز الفكرى على السياق العالمى الذى هو فى الأساس ناتج من نتاج العولمة يبعث قلقًا على الهوية الوطنية فى جميع المجتمعات – حتى تلك التى تعتبر نفسها آمنة ومحصنة – خاصة فى ظل التنوع العرقى وتزايد معدلات الهجرة، لذا يجب الأخذ فى الاعتبار تأثيرات ذلك على الهوية الوطنية المتطورة فى السياق العولمى والقيم المصاحبة له.

كما كشفت دراسة (البرهومى، ٢٠١٥، ٢٥- ٢٦) عن اتساع دلالة مفهوم المواطنة بما يتجاوز حدودها الجغرافية، وامتداداتها التاريخية، ولهذا أكدت على أننا بحاجة إلى الاشتغال على هذا المعنى بما يتجاوز التجريد الفلسفى لنتدرج باتجاه التعاطى مع أبرز القضايا تشعباً وتوغلاً فى مسيرة الفكر البشرى المنفتحة على تحولات متفاوتة فى عمقها وتأثيراتها حتى يمكن أن نشكل أساساً فلسفياً لكونية المواطنة بحيث تقوم على مبدأ التنوع الثقافى.

ولهذا تؤكد دراسة (أبوعليوة، ٢٠١٧، ١٠٧) أنه خاصةً فى ظل تزايد الطرح الفكرى على الساحة العالمية فى الألفية الثالثة، يأتى الاهتمام بعالمية أو كوكبية المواطنة ومدى ارتباطها بالعولمة كأحد إفرازاتها، وعلاقة المواطنة الكوكبية بالتعددية الثقافية، وأهمية الذكاء الثقافى لاحتضان هذا التنوع والنجاح فى التعايش مع مجتمع عالمى يضم ثقافات متنوعة، واعتبار ذلك منطلق لإعادة تشكيل مفهوم المواطنة.

ومن زاوية تربوية أخرى، فإن هدف تعزيز مفهوم المواطنة العالمية كما تشير دراسة (Oxley& Morris, 2013, 302) يأتى كهدف تربوى مطروح على جميع المجتمعات ليرمز إلى التحول من التوجه القومى للمواطنة نحو مزيد من الرؤى والمفاهيم المرتبطة بعالمية المواطنة ويترجم عبر تنوع المفاهيم، والمداخل، التصورات المتنوعة لطبيعة المفهوم والتى تواجه نوعاً من الاختلاف نابعاً من اختلاف السياقات الاجتماعية والسياسية التى تنشأ داخلها، لذا توجه الدراسة إلى ضرورة التركيز على إزالة الغموض الذى يحيط بمفهوم المواطنة العالمية ، قبل تحديد السمات الرئيسة لمجموعة متنوعة من الغايات والسياسات والبرامج التعليمية والأنشطة التربوية التى تعزز المواطنة العالمية.

وفى هذا الإطار تعبر دراسة (البرهومى، ٢٠١٥، ٢٨) عن مدى حاجة الفكر التربوى العربى إلى إعادة الصياغة الجذرية لمفاهيم تحمل دلالة الحوار بين الثقافات، بتجاوز الجدل النظرى إلى تجسيد كونية أو عالمية المواطنة وتخطى ما يكتفى به محترفوا الخطاب من الاشتغال على العناوين الكبرى كالإشادة بما يحققه المفهوم من التقارب بين الثقافات، وما يتردد من تأكيد الانسجام بين مكونات الحضارة الإنسانية، وهذا خطاب يعتمد المنهج الانتقائى من جهة الترويج لمركزية ثقافة معينة، دون الأخذ فى الاعتبار ماتبقى من مخاطر تجاوزتها عملية الانتقاء.

خاصة وأن المنطق الجدلى لمفهوم المواطنة العالمية كما تشير دراسة (الرباح، ١٦،٢٠١٧) يؤكد ما يشير فى بعض مضامينه إلى استهداف العلاقة بين المواطن ووطنه، وهو أمر مقلق بعد أن كثرت الحسابات المغرضة التى تستهدف إضعاف الوطن بإضعاف جبهته

الداخلية، لذا تؤكد نفس الدراسة على ضرورة أن تتحمل التربية مسئولية التصدى لتلك المحاولات لتحقيق التماسك الاجتماعى للوطن وتعزيز الولاء والانتماء له من خلال ترسيخ مفهوم ومبادىء المواطنة العالمية على أسس علمية واقعية تنطلق من الواقع وتستند إلى أصول المواطنة فى التراث مع الاستفادة من التجارب الناجحة فى هذا المجال.

وتأسيساً على ماسبق، فإن التربية فى تعاملها مع المفاهيم الوافدة، عليها أن تتصدى لمهمة كبرى قبل عملية التوطين المباشر، ألا وهى إعادة بناء تلك المفاهيم التى تحمل دلالات ومضامين هى انعكاس للجوهر الحضارى لمنتجيها، وبالتالى قد تختلف أو تتفق مع الجوهر الحضارى لمستهلكيها، مما قد يكون له نتائج سلبية تتفوق على عناصر المصلحة التى تدفعنا لتوطين المفهوم فى الأساس. وبالتالى فإن توطين المفاهيم فى الفكر التربوى- كمفهوم المواطنة العالمية- لا ينبغى أن يتم قبل إعادة بنائها من خلال عمليات أساسية تستهدف إزالة كل ما يحيط بالمفهوم من غموض، والتباس، وعوامل هيمنة واغتراب، وغير ذلك مما قد يؤثر على خصوصية الفكر التربوى العربى وتطبيقاته.

قضيـــة البحـــث:

تظهر على الساحة التربوية من حين لآخر بعض القضايا الإشكالية والجدلية التى تتعلق ببعض المفاهيم الوافدة، وقابليتها للتوطين فى الفكر التربوى العربي، ويقف الباحثون والمفكرون التربويون حيال هذه المفاهيم مواقف متباينة قد تصل إلى حد التناقض فى الرؤى، وكلٌ متأثر بفهمه للسياقات الدلالية والاستعمالية للمفهوم فى ضوء خلفيته الثقافية والمعرفية والفكرية، وبالرغم من عدم الوصول إلى رأى يتفق عليه الجميع فى أحيان ليست بالقليلة، إلا أن إثارة هذه المفاهيم ومناقشتها وتفكيكها من خلال إعادة البناء كفيل بلفت الانتباه إلى أبعاد ودلالات قد تكون غائبة عن البعض الذى لا ينشغل بعملية إعادة بناء تلك المفاهيم قبل توطينها مما قد يؤثر سلباً على توجهات الفكر التربوى وإغراقه فى عمليات الاستهلاك الثقافى، والاستيراد غير الواعى وغير المبرر للمفاهيم. وهنا تجدر الإشارة إلى أهمية التوطين من خلال إعادة بناء المفاهيم باعتباره مدخل نقدى لا يتطلب اتخاذ موقف معين من المفهوم قبل إخضاعه لعمليات إعادة البناء، وإنما يسفر عن موقف كلى يتعلق بقابلية المفهوم للتوطين بعد إزالة كل عوامل الاغتراب والهيمنة.

ويعد مفهوم المواطنة العالمية من أبرز المفاهيم الوافدة التى يروج لها الخطاب الغربى ويتناقله الخطاب التربوى العربى متجاوزاً عمليات إعادة البناء والتوطين بما يتناسب مع البيئة العربية، ودون مراعاة أن مثل تلك المفاهيم تحتاج إلي مراجعة، ونقد، وتدقيق، وتمحيص حتي يمكن إدراك دلالات معانيها كاملة ومدى تأثيرها علي خصوصية المجتمعات العربية، ولذلك يتناول هذا البحث إعادة بناء مفهوم المواطنة العالمية وقابليته للتوطين كأنموذج مفاهيمى وافد، انطلاقاً من أن إشكالية المفهوم تكمن تحديداً فى التمفصل القائم على مبدأين يصعب الموائمة بينهما هما: الاعتراف بالخصوصية القوميةومسألتى الهوية والانتماء من جهة، واحترام القيم العالمية التى تؤهلنا للتعامل مع معطيات العصر والانفتاح على العالم من جهة أخرى، ومن هنا يمكن صياغة قضية البحث الحالى فى التساؤل الرئيس التالى:

- **كيف يمكن توطين المفاهيم الوافدة فى الفكر التربوى العربى على ضوء مدخل إعادة بناء المفاهيم "مع التطبيق على مفهوم المواطنة العالمية"؟**

ويتفرع من هذا التساؤل الرئيس عدة تساؤلات فرعية وهى:

١- ما الإطار الفكرى والفلسفى لمدخل إعادة بناء المفاهيم؟

٢- ما دواعى التوجه نحو إعادة بناء المفاهيم التربوية الوافدة وتوطينها فى الفكر التربوى العربى؟

٣- كيف يمكن إعادة بناء مفهوم المواطنة العالمية وتوطينه كأنموذج مفاهيمى؟

٤- ما الرؤية البنائية المقترحة لتوطين المفاهيم الوافدة فى الفكر التربوى العربى على ضوء مدخل إعادة بناء المفاهيم؟

أهـــداف البحـــث:

يهدف البحث الحالى إلى وضع رؤية بنائية مقترحة لتوطين المفاهيم الوافدة فى الفكر التربوى العربى على ضوء مدخل إعادة بناء المفاهيم مع التطبيق على مفهوم المواطنة العالمية، كمحاولة للكشف عن الدلالات والمضامين الجوهرية، وعوامل الاغتراب، والغموض التى ينطوى عليها المفهوم، والتصدى لكافة أشكال الهيمنة، والالتباس، والتناقض، واللامعقولية التى تحيط به، وإعادة بنائه من أجل توطينه وتوظيفه بما يتناسب مع طبيعة الفكر التربوى ومبادىء التربية العربية.

أهميـــة البحـــث:

تكمن أهمية البحث الحالى في ما يلى:

- تصديه لقضية المفاهيم، خاصة مع المكانة البارزة التى تحتلها المفاهيم فى الفكر التربوى العربى بصفة عامة، والدور الذى تقوم به فى صياغته وتوجيهه، باعتبارها مفتاح الهوية الثقافية، وأدوات الخصوصية، ودعامة الاستقلالية فى الفكر، والثقافة، والمعرفة.
- اعتماده على مدخل إعادة بناء المفاهيم، والذى يعد من أهم المداخل التى تفرض نفسها بقوة اليوم فى التعامل مع المفاهيم الوافدة قبل توطينها فى الفكر التربوى العربى خاصة مع الزخم المفاهيمى الناتج من عمليات الاحتكاك الثقافى؛ والذى يتطلب العمل على إعادة بناء المفاهيم وتوطينها قبل توظيفها إجرائياً فى الواقع وبما يتناسب مع الشروط الاجتماعية والثقافية والمعرفية العربية.
- تناوله لمفهوم المواطنة العالمية كأحد المفاهيم الجدلية المطروحة بقوة على الساحة العالمية بعد التوجه نحو عولمة المفاهيم فى الألفية الثالثة، ورغم أنه أحد المفاهيم المعقدة والمتعددة الأبعاد؛ إلا أن تناوله كمفهوم تربوى له أهمية خاصة باعتبار التربية هى الأداة الوحيدة التى تتولى تشكيل المفاهيم وترسيخها فى عقول الأجيال الجديدة.
- تقديمه لرؤية بنائية مقترحة تستهدف إعادة بناء وتوطين المفاهيم التربوية الوافدة، الأمر الذى قد يفيد الباحثين التربويين أو المهتمين بفلسفة المفاهيم فى الفكر التربوى فى إعادة بناء مفاهيم تربوية أخرى.

منهـــج البحـــث وأسلوبـــه:

فى ضوء الطرح المقدم لقضية البحث، وتساؤلاته، وأهدافه، وطبيعة المعالجة التحليلية، وجب الاستعانة والاسترشاد بمنهجية مركبة من مناهج البحث العلمى وأساليبه، قوامها :

١- **المنهج النقدى:** النقدية عموماً هى نشاط فكرى يتجه إلى نقد المفاهيم، ونقد التصورات، ونقد الأفكار، وبمعنى آخر نقد الأيديولوجيا الكامنة خلف المفاهيم، والنشاط العلمى والممارسات البحثية أو خلف أى نشاط إنسانى آخر يقوم به فرد وجماعة معينة من الأفراد فى أى مجال من مجالات الحياة.(البيلاوى، ١٩٩٣، ٢٩٦) وتتمثل أهمية هذا المنهج فى النفاذ إلى ما وراء العالم الظاهرى للموضوعات للكشف عن المضامين والعلاقات الاجتماعية المستترة وفهمها؛ وهو ما يقتضى استخدام التحليل الناقد من أجل النفاذ إلى

أعماقها والكشف عن العلاقات الاجتماعية المتضمنة فيها، فالتحليل النقدى لعديد من المفاهيم يوضح أن هذه المفاهيم والأفكار لا تجد بحال من الأحوال واقعاً موضوعياً حيادياً بل هى تكوينات اجتماعية تاريخية تتوسطها علاقات أخرى قد تحمل معنى السيطرة والخضوع. (نجيب، ١٩٩٧، ٣٣٤) ويعتمد البحث الحالى على المنهج النقدى باعتباره جوهر عمليات إعادة بناء المفاهيم والتى تمثل فى الأساس أبرز صور النقد الإبستمولوجى للمفاهيم ودلالاتها.

٢- **أسلوب التحليل الفلسفى:** وهو أسلوب يهدف إلى الوقوف على معانى ودلالات المصطلحات والمفاهيم وإدراك العلاقات فيما بينها، ويتم هذا فى ضوء السياقات المجتمعية المحيطة بها.(على، ٢٠٠٠، ١٤٣-١٤٨) كما أنه يجعلنا نقف أمام الفكرة، أو اللفظ، أو المصطلح، لنحاول بيان معناه ومدلوله ومقرؤه فى التربية، حيث تبرز المهام الأساسية للتحليل الفلسفى فى التدقيق فى المفاهيم، ووضعها فى سياقاتها المحددة لاستخراج واستخلاص المقومات، والأفكار، والرؤى، والتصورات، للوصول إلى نتائج محددة حول بنية ودلالة المفاهيم ومضامينها. (توفيق؛ وموسى، ٢٠٠٧، ٣٤٠) والتحليل الفلسفى كأسلوب منهجى يقوم على إيضاح الصلة بين كافة تلك المفاهيم وبين مجريات العملية التعليمية فى المؤسسات التربوية المختلفة، والتحليل هنا يتجه إلى بيان الجذور التاريخية للمفهوم محل الدراسة والأبعاد والدلالات المشكلة لهذا المفهوم فى ضوء الأبعاد الثقافية والسياسية والاجتماعية، وبيان مدى تأصيله تربوياً. (حسينى، ٢٠٠٥، ٩٧-٩٨) ويعتمد البحث الحالى على أسلوب " التحليل الفلسفى" كأسلوب معنى- فى أحد أهم وظائفه المنهجية- بكشف طبيعة المفاهيم وتحليلها فى إعادة بناء مفهوم المواطنة العالمية فى مجتمعنا خاصة مع بزوغ قضايا مفاهيمية قيمية وفلسفية فى عصر العولمة تتحدى خصوصية النظم التربوية القائمة في أى مجتمع.

مصطلحات البحث:

ينطوى البحث الحالى على عدد من المصطلحات التى يمكن توضيحها على النحو التالى:

١- المفاهيم الوافدة : Incoming concepts

المفاهيم Concepts بصفة عامة هى: منظومة فكرية يفترض أن تكون منسجمة، وعاكسة للجوهرالحضارى، تتضمن عناصر مختلفة ووحدات مفاهيمية متعددة ومتنوعة لا يمكن

رؤيتها إلا كعناصر متراتبة متراكمة تؤثر على موقعها فى البنية المعرفية، وقيمتها فى السياق الفكرى، وحجيتها فى العملية الحضارية الممتدة.(إسماعيل، ٢٠٠٨ ، ٢٧) كما تعرف بأنها: نتاجات تمثلات ذهنية وحصيلة حركية تفكير ونتاج لعملية دائمة التأسيس والبناء.(خرازى، ٢٠١٨، ١٨٠)

وتعرف المفاهيم الوافدة بأنها: المفاهيم التى تم وفودها، أوتدفقها، أواستيرادها من الحضارة الغربية من قِبل بعض المفكرين العرب، فى محاولة لاستنباتها داخل المجتمع العربى والإسلامى وهى تحمل سمات وخصائص المجتمعات الغربية.(الصاعدى، ١٤٣٥ هـ، ١٣)

ووفقاً للبحث الحالى، تعرف المفاهيم الوافدة – **إجرائياً** – بأنها: تصورات ذهنية مجردة مبنية فى إطار معرفى، وثقافى، وتربوى، واجتماعى، وسياسى غير عربى، ويشكل هذا الإطار جزءً جوهرياً من تفسيرها الدلالى، وتلك التصورات لا تكتسب معناها ودلالتها إلا من خلال قدرة المفهوم على تفسير وفهم ظواهر تحققت فى الواقع التى نشأت فيه.

٢- توطين المفاهيم الوافدة: Settlement of Incoming concepts

التوطين "Settlement" أو"Landsettlement" كمصطلح اجتماعى يشير إلى: نقل الأفراد من منطقة إلى أخرى، وقد يكون هذا التوطين قسرياً أو إجبارياً بوجوب التوطن، وقد يكون اختيارياً طوعياً للعشائر التى تريد التوطن. وتتطلب عملية التوطين تسوية الأرض، وعلاج عيوب التربة، وتوفير الفنيات اللازمة لعملية التوطين. (بدوى،١٩٩٣، ٢٤٠، ٣٥٦)

وقد أرجع البعض مفهوم التوطين إلى "Indigenization" بمعنى تكييف، أو تبيئة، أو تأصيل يتعلق بالحياة الطبيعية فى منطقة محددة كاستيراد نبات من بيئة معينة واستزراعه فى بيئة أخرى. وكمفهوم فلسفى يمكن ربطة بالمجال المعرفى ليشير إلى عملية تستهدف تطوير نظام معرفى أو نظرى مستورد من بيئة مغايرة كالبيئة الغربية؛ ليصبح بشكل جديد يتواءم مع الحقائق الاجتماعية والثقافية للأفراد والجماعات فى البيئات العربية.(الخليفة، ٢٠١١، ١٢-١٥)

وقد تم استعارة هذا المصطلح فى البحث الحالى وربطه بمسألة المفاهيم الوافدة أو الرحالة ليشير – **إجرائياً**– إلى: عملية تكييف أو تبيئة أو تأصيل المفاهيم الوافدة التى يتم نقلها قسراً أو جبراً بفعل التثاقف، أو اختياراً تحت دوافع التجديد الفكرى والمعرفى فى حقل معرفى معين (والمقصود هنا الحقل التربوى)، مع الأخذ فى الاعتبار مراعاة الشروط الاجتماعية والثقافية والمعرفية اللازمة لإتمام عملية التوطين، ودون أدنى تأثير سلبى على المسار المعرفى للحقل المعرفى الناقل أو المسار الحضارى للمجتمع الحاضن.

٣- الفكر التربوى العربى: The Arab educational thought

الفكر التربوي هو: "أحد صور الفكر على وجه العموم، وهو وليد حركة المجتمع في بنيته الأساسية وافرازها، وعلي صفحاته تنعكس الظروف الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وتشكل اتجاهاته ومساراته بما تتخذه هذه الظروف من مسارات واتجاهات". (على، ١٩٨٦،٥)

ويمكن تعريف الفكر التربوى العربى – **إجرائياً** –على أنه: النتاج الفكرى والمعرفى التربوى الذى أفرزته كتابات وجهود بعض المفكرين البارزين فى عالم الفكر التربوى العربى المعاصر، ويدخل ضمن نتاج الفكر التربوى المفاهيم والمصطلحات التى وضعها هؤلاء المفكرين أو استخدموها فى تأسيس نظرياتهم وأفكارهم التربوية والتى لا تكتمل بنيتها إلا فى إطار بنية المجتمع العربى الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

٤- إعادة بناء المفاهيم: Reconstruction of concepts

لا يوجد تعريف واضح ومحدد ومتفق عليه لبناء أو إعادة بناء المفاهيم وفقاً لما لاحظته الباحثه من خلال القراءات المتأنية للأدبيات والدراسات التى تناولت هذا الموضوع، وقد يرجع ذلك إلى عدم اعتماد العملية على منهجية واحدة، لكن تتنوع المداخل والإجراءات المنهجية وفقاً لطبيعة المفهوم المراد إعادة بنائه.

غير أنه فى أبسط تعريف له يعنى: "إعادة بناء دلالى لمفاهيم وألفاظ متداولة سابقاً".(خرازى، ٢٠١٨، ١٨٠) وهو ضمناً يمثل: عملية تدور فى إطار المراجعة النقدية للمفهوم فى ضوء عدة عمليات متعاقبه أبرزها: تفكيك دلالاته السائدة بتتبع تطوراته الدلالية بمقاربة نقدية، والتأسيس من جديد طبقاً لحاجتها للتجاوز، والانتهاء إلى صياغته من جديد فى ضوء معيارى معين.(عمر، ٢٠١٦، ٥)

ويمكن تعريف مدخل إعادة بناء المفاهيم – **إجرائياً** – بأنه: مدخل فلسفى يتضمن تفكيك أى مفهوم من المفاهيم الوافدة، وتحليل عناصره، واستخراج دلالاته، ونقد ما رسخه من مضامين وتصورات تأصلت فى بيئته، وذلك للكشف عن عوامل الاغتراب والغموض والالتباس، والوصول إلى أبعاد دلالية لا يمكن الوصول إليها بالنقل المباشر؛ وذلك بالوقوف على تفاصيل التصورات والمضامين وما وراءها من مرجعية فكرية محركة وسياقات مجتمعية أسهمت فى تكوينها وبنائها، وبما يسمح باتخاذ قرارت القبول بالمفهوم أو رفضه، ومن ثم توطين المفهوم من عدمه.

٥- المواطنة العالمية: Global citizenship

هناك بعض المنظرين الذين يستخدمون العديد من المصطلحات للإشارة إلى المواطنة العالمية، مثل المواطنة الكوكبية، المواطنة الدولية، المواطنة الشاملة، المواطنة الكونية، المواطنة عابرة الحدود، المواطنة اللامحدودة (غير المقيدة)، المواطنة ما بعد الوطنية،. ويشير اليونسكو إلى المواطنة العالمية على أنها: الشعور بالانتماء الذى يتجاوز الجماعة الوطنية إلى المجتمع العالمى الأوسع والإنسانية المشتركة، وتركز فى ذلك على الترابط السياسى، والاقتصادى، والاجتماعى، والثقافى، والترابط بين المحلى، والوطنى، والعالمى. (UNESCO, 2015, 14)

ويمكن تعريف المواطنة العالمية- **إجرائياً** - على أنه: أحد المفاهيم الوافدة التى يروج لها الخطاب العالمى للإشارة والدعوة إلى مجتمع عالمى يؤمن بالتعددية، والانفتاح، والعدالة، ويوفق بين احترام الخصوصيات، ويؤسس على تقاسم قيم جديدة تسمى القيم العالمية المشتركة والتى تشكل أساساً قيمياً موحداً يمكن من خلاله الانطلاق نحو معالجة القضايا الإنسانية التى تحيط بالمجتمع الدولى.

٦- الرؤية البنائية المقترحة: A proposed constructive vision

ويقصد بها إجرائياً: رؤية أو تصور بنائى محدد لخطوات إعادة بناء المفاهيم الوافدة وتوطينها فى الفكر التربوى العربى المعاصر، وتتمثل فى بنية معرفية متكاملة ذات رؤية فلسفية تربوية، وأهداف محددة، ومنطلقات نظرية وتصورات بنائية مرحلية، وإجرائية يتبعها آليات واجراءات واضحة تتسق مع فلسفة الرؤية وتساعد على تحقيق أهدافها.

خطـــوات البحـــث:

تسير خطوات البحث الحالى على النحو التالى:

الخطوة الأولى: يتم من خلالها عرض وتحليل الأطر الفكرية والفلسفية لمدخل إعادة بناء المفاهيم.

الخطوة الثانية: تهتم بإبراز دواعى ومبررات التوجه نحو إعادة بناء المفاهيم التربوية الوافدة وتوطينها فى الفكر التربوى العربى.

الخطوة الثالثة: يتم من خلالها توضيح العمليات الأساسية لإعادة بناء مفهوم المواطنة العالمية وتوطينه كأنموذج مفاهيمى تطبيقى.

الخطوة الرابعة: يتم من خلالها وضع رؤية بنائية مقترحة لتوطين المفاهيم الوافدة فى الفكر التربوى العربى على ضوء مدخل بناء المفاهيم.

وعلى ضوء خطوات البحث، فقد انتظمت المحاور البحثية على النحو التالى:

المحور الأول: الأطر الفلسفية والفكرية لمدخل إعادة بناء المفاهيم :

يحتل الاهتمام بالمفاهيم وبنائها وإعادة بنائها مركزًا هامًا في مختلف الحقول المعرفية العلمية والاجتماعية والإنسانية لما لها من دورٍ هامٍ فى بناء النظريات والمناهج، وتجديد المعرفة وتطوير قدرتها على استيعاب التطورات المعرفية المتلاحقة ، ولما لها من دور في ضبط التعامل في الحياة العلمية والعملية، ويتجلى هذا الاهتمام في الكتابات والدراسات التي تتعرض للمفاهيم وتبحث فى إماكنية إعادة بنائها، ويتعلق هذا المحور بتوضيح الأطر الفلسفية والفكرية لمدخل إعادة بناء المفاهيم وذلك على النحو التالى:

١- المفاهيم: الماهية والدلالة والأهمية

المفاهيم جمع مفهوم، وقد حظى المفهوم بمحاولات تعريف كثيرة ومتعددة، فالمفهوم فى أبسط التعريفات المعجمية هو لفظ الصفات الأساسية التى تدخل فى تعريف الأ شياء وتصنيفها والتمييز بينها وبين غيرها .(بدوى، ١٩٩٣، ٨٠) وهو فى معناه الحاسم يعنى بجملة الصفات التى تكفى لتعريف لفظ ما، وفى معناه الضمنى يعنى بجملة الصفات التى يثيرها استخدام لفظ ما مضافاً إليها المعانى التى تلزم عنها لزوماً منطقياً، وهو فى معناه الذاتى يعنى بجملة الصفات التى يثيرها استخدام لفظ ماعند فرد أو جماعة بالذات. (وهبة، ٢٠٠٧، ٦١٢) والمفهوم إذاً مجموعة من المحددات التى تضبط حدود اللفظ وما يشمله من معانى. (اللويحق، ١٤٣٠، ٩)

والمفهوم فى تعريفه المنطقى داخل الدائرة الفلسفية هو: تمثيل ذهنى لموضوع من الموضوعات قد يكون شيئاً حسياً أو فكرة مجردة، يتشكل هذا التمثيل من سمات دلالية تحدد صورة الموضوع وطبيعته ووظيفته، ويتم تحديده بالنظر إلى بقية المفاهيم التى يرتبط بها والتى تنتمى فى مجموعها إلى ميدان معرفى محدد. (البوشيخى، ١٩٩٣، ٦٣) وهو مجموع الصفات أو الخصائص الموضحة لمعنى كلي، وعلى أساسه يقوم التعريف والتصنيف، ويطلق على مجموع الصفات التى يتكون منها، أو مجموع الصفات المشتركة بين أفراد صنف أو نوع واحد.(آل حبيل، ٢٠٠١، ١٠٠)، ولهذا يشكل المفهوم جهازاً نظريًا ذو طابعًا رمزيًا منطقيًا يستجيب لعدة شروط منها الموائمة فى مواجهة إشكالية محددة وموضوعات معينة، والتماسك فيما بينها وبين القضايا التى تستعملها النظرية فى حقل معرفى معين. (هارمان، ٢٠١٠، ١٥)

وفى إطار اجتماعى عرفت المفاهيم على أنها: رموز تعكس مضمون فكر أو سلوك أو موقف لأفراد مجتمع بواسطة لغتهم، أو أنها تجريدات لأحداث واقعية، وهى باختصار بمثابة وصف مختصر لوقائع وظواهر كثيرة مرتبطة ومترابطة. (زيانى،٢٠١٨، ٤٣١) وبالتالى يمثل المفهوم خلاصة الأفكار، والنظريات، والفلسفات المعرفية، وأحيانا نتائج خبرات وتجارب العمل في النسق المعرفي الذي يعود إليه وينتمي إلى بنائه الفكري. والمفاهيم ليست ألفاظا كسائر الألفاظ، وما هى مجرد أسماء تفهم او تفسر بمفرداتها، بل هي مستودعات كبرى للمعاني والدلالات كثيرًا ما تتجاوز البناء اللفظي وتتخطى الجذر اللغوي لتعكس كوامن فلسفة الأمة، وتراكمات فكرها ومعرفتها، وما استنبطته ذاكرتها المعرفية. (العلوانى، ٢٠٠٨، ٧)

وأيا كانت التعريفات المقدمة للمفاهيم فإنها –إجماعاً– تمثل أساس لغة التعامل الإنساني ووسيلة الإنسان للتعبير عن معارف، وأفكار، ورؤى وتوجهات، وتشير إلى حالات وأوضاع واقعية محددة. (إبراش، ٢٠٠٩، ٢٣٥) وبالتالى تمثل المقوم الرئيس لبناء الفكر، والركيزة الأساسية فى تجديد المعرفة، **وتكمن أهمية المفاهيم فيما يلى:**

أ) دورها فى إبراز معالم الهوية:

فالمفهوم أشبه بوعاء معرفى جامع يحمل من خصائص الإنسان يحمل هويته وتطوره الدلالى، ويعكس التراكم الفكرى والمعرفى من خلال قول شارح، أو منطقى، فهو يمثل خلاصة الأفكار، والنظريات، والفلسفات المعرفية، وتجارب العمل فى إطار النسق المعرفى الذى يعود إليه وينتمى إلى بنائه الفكرى، لذلك كانت دائرة المفاهيم أهم ميادين الصراع الفكرى والثقافى عبر التاريخ. (العلوانى، ٢٠٠٨، ٧)

ب) قدرتها الهائلة على حمل دلالات ثقافية وأيديولوجية:

للمفاهيم قدرة كبيرة على حمل واستيعاب دلالات ثقافية وأيديولوجية، لذلك أصبحت أدوات هامة في الصراع الحضاري والفكري بين الأمم، وفي داخل الأمة الواحدة، إذ يهتم أعداء أي مبدأ أو فكر في صراعهم مع المبادئ الأخرى بالألفاظ والمصطلحات والمفاهيم، لأنها الوعاء المعبر عن العقيدة، أو الفكر، أوالثقافة، أوالرأي، ولذلك فإن كسر ذلك الوعاء غرض رئيس للمعادين لما قد يترتب عليه من خطورة كبرى على العقائد، أو الآراء أو الأفكار لأي أمة، وبهذا كان الحفاظ على ثوابت الأمة من المفاهيم والمصطلحات من جهة، ونقد مفاهيم ومصطلحات الأمم المعادية من جهة أخرى ركنين أصيلين في إدارة عملية الصراع الفكرى. (العاترى، ١٤٣٧، ١١٤٢)

ج) تعاظم دورها فى بناء المعرفة العلمية:

تؤدى المفاهيم والمصطلحات دور كبير فى بناء المعرفة العلمية عامة، وباكتساب صفة العلمية ترسخ المعرفة وجودها فى أرض المشروعية، وإذا كانت غاية المعرفة الإنسانية الارتقاء إلى مرتبة العلم فإنها لن تبلغ غايتها إلا إذا استطاعت أن تصل بمفاهيمها إلى درجة عالية من الدقة، وإلى مستوى من التطور يمنحها هوية معرفية يمكنها أن تتجسد فى صيغ معرفية علمية.(وطفة، ٢٠٠٣، ١٥٢) فاكتساب صفة العلمية هو استيفاء لجملة من الشروط النظرية والمنهجية والتجريبية والتجريبية، ويقوم النقد الإبستمولوجى من خلال إعادة بناء المفاهيم بدور هام فى الدافع بالمعارف إلى استيفاء تلك الشروط، كما يعمل على إنضاجها وتطويرها عبر ملاحقتها بالنظر فى هندسة بنائها داعياً إلى ترميمها وتصويبها، أو إلى هدمها جزئياً أوكلياً وإعادة بنائها.(البوشيخى، ١٩٩٣، ٦١)

د) تعتبر أهم مداخل التجديد المعرفى:

تعد المفاهيم والمصطلحات مفاتيح العلوم ومسميات الأشياء التى تتصل بدنيا الواقع؛ لذلك ينبغى أن تحمَل لغتنا العربية بنسبة كبيرة من المصطلحات التى تغزونا ليل نهار نتيجة التطور الفكرى والتكنولوجى فى العالم مع الثقة بأنها قادرة على استيعاب كل المفاهيم والمصطلحات بما وهبت من مرونة ومطواعية وليونة لتقبل جديد الفكر، لذا تأتى أهمية بناء المفاهيم والمصطلحات وتحديدها وتخصيصها بما يساعد على حسن الأداء، ويقرب مسافات الفهم، ويجنب اللبس والغموض، ويمهد للتجديد. (أبو راس؛ والصابرى، ٢٠٠٥، ٢٠٥) فليس لنا أن نتوقع تجديداً فى الفكر العربى بصفة عامة دون الإنطلاق من تجديد البنية المفاهيمية التى يؤسس عليها نظرياته وأفكاره ومعارفه؛ وتنمية قدرتها على استيعاب جديد الفكر.

هـ) تعد أهم محدد بنائى فى البحث الاجتماعى والتربوى:

للمفاهيم أهمية كبرى فى البحث العلمى بصفة عامة، وفى البحث الاجتماعى والتربوى بصفة خاصة، إذ أنه لاينبغى تجاوز تحديدها فى أى بحث من البحوث الاجتماعية والتربوية، فكما أن لها أهمية كبرى بالنسبة للنظرية الاجتماعية والتربوية، فهى تمثل أيضاً حلقة الوصل ومحور التمفصل بين النظرية والميدان، وبدونها تنتفى الصلة بينهما، وعليه وجب تحديد المفاهيم بدقة مع مراعاة الأطر النظرية العامة التى تحيط بها عند عملية التحديد حتى يكون لها الخصوصية فى المعنى، والتميز فى القيمة، والانفراد فى المؤشرات، ويجب الانتباه إلى أن التقصير فى عملية التحديد المفاهيمى يعتبر تقصيراً منهجياً يجب تفاديه.(غربى، ١٩٩٩، ١٠٠)

وتأسيساً على ما سبق، فإن الاهتمام بدراسة المفاهيم هو أمر ضرورى لبناء وتجديد وتطوير الحقل المعرفى الذى تنتمى إليه، وفى إطار دراسة المفاهيم تأتى الحاجة إلى بناء المفاهيم الأساسية التى يبنى عليها الفكر، وإعادة بناء المفاهيم التى تفد إلى الحقل المعرفى سواء من حقول أخرى أو من بيئات وثقافات أخرى منتجة لها. انطلاقاً مما يؤكد عليه (العلوانى، ٢٠٠٨، ٧) أن تحليل المفاهيم الأساسية لأى فرع أو حقل معرفى يعتبر المدخل الأول لتفكيك ذلك الفرع أو الحقل بشكل يسمح بتشخيصه، وتحديد وضعيته، ومعرفة مبادئه ومداخله فى طريق إعادة بنائه وتجديده.

٣- مدخل إعادة بناء المفاهيم ودوره فى توطين المفاهيم الوافدة:

ثمة علاقة وطيدة بين إعادة بناء المفاهيم والحاجة إلى توطين المفاهيم الوافدة فى الفكر التربوى، حيث تأتى غاية التوطين للمفاهيم الغربية الوافدة فى ظل أوضاع عولمية تجعل من الصعب تجنب عمليات الاحتكاك الثقافى والمثاقفة مع ثقافات أخرى غير عربية، وما يتبع تلك العمليات من وفود مفاهيم محملة بدلالات ومضامين هى نتاج بيئاتها، وبالتالى تأتى عملية بناء المفاهيم كضرورة ملحة ووسيلة أساسية للتعامل مع مثل تلك المفاهيم؛ للكشف عن دلالاتها ومضامينها وعوامل الالتباس فيها قبل، وتحديد مدى قابليتها للتوطين والتوظيف فى الفكر العربى.

فالاختلاف بين المرجعيات الفكرية والسياسية والدينية والتاريخية بين العالمين العربي من جهة، والغربي من جهة أخرى، جعلت الهوة بين الطرفين كبيرة جدًا، ويبرز ذلك فى شكل واضح فى صياغة المصطلحات والمفاهيم وإعطائها دلالات منحازة، حيث يوظف كل طرف خلفياته ومرجعياته الخاصة فى وضعها والترويج لها، ولذلك فإن التسليم بما يضعه الغرب من مصطلحات ومفاهيم خاصة بالعالم العربي والإسلامي يعد مخاطرة كبرى، إذ لا بد من قراءته قراءة لغوية وسياسية متأنية وناقدة في بعدها التاريخي والحضاري والدينى؛ لأن التسليم أو الاعتراف بمدلولاتها دون نقد يعني الاعتراف الضمني والصريح بقبول الوضع كما هو، وتصبح الإشكالية ليست في محاولات فرض الهيمنة وإنما فى قابلية الهيمنة. (دغبار، ٢٠١٧، ٢٨١)

خاصة وأن المفاهيم قد توظف من قبل بعض القوى الدولية توظيفاً سياسياً وأيديولوجياً لخدمة مشاريعهم الاستعمارية والسياسية فى العالم، إذ يتم شحن المفاهيم والمصطلحات بمعان عادة ما تكون ذات حمولات ومضامين متعددة ومتحيزة تتدخل فيها اعتبارات أيديولوجية تضفى عليها صفات قيمية ذاتيه، وهذا ما يطرح عدة إشكاليات منهجية ليس من السهل تخطيها، حيث

تصبح الأيديولوجية والخلفيات التاريخية والسياسية وغيرها هى الأساس فى وضع وصياغة تلك المفاهيم، وإضفاء صبغة من اللبس والضبابية والعموم عليها. (دغبار، ٢٠١٧ ، ٢٧٩- ٢٨٠)

كما يمكن دعم المفاهيم بحمولة دلالية وثقافية غير ملائمة للثقافة الناقلة، ومثل هذه الصورة لها وجهها التبادلى- الجدلى، كونها لا تخرج عن مقولة أن المعرفة هى بيئة تتكاتف فيها الدلالات وتتوالد تحت ضغط الحاجة الإجرائية، لذلك يكون المفهوم أو المصطلح منتجاً ثقافياً لا يغادر ضوابط المنتِج أو معاييره، على اعتبار أنه وجه من وجوه التوافق بين من لهم أهلية التوليد والصياغة وهم المنتسبين إلى فضاء دلالى له خصوصيته، والذين دفعتهم الحاجة المشتركة إلى توحيد الخطاب، وتخصيصه ضمن سياق معين تمييزاً له عن دلالته خارج السياق.(العاترى، ١٤٣٧، ١١٣٥)، ولهذا نجد عددًا كبيرًا من المفاهيم فاقداً للرؤية الإيجابية تجاه الكثير من القضايا المتعلقة بالجانب العربى والإسلامى.

وهنا يأتى دور إعادة بناء المفاهيم وتحليل بنيته فى الإدراك الدقيق والصحيح للمفاهيم الوافدة، واجتناب اللبس، والتنبه للدلالات التى تكتسبها المفاهيم فى مراحل تاريخية معينة وسياقات بيئية معينة.(بليل، ٢٠١٦، ١٨-١٩) فهى عملية توجه نحو "بناء تجريبى" ينظر إليه كعملية ممتدة ومؤثرة تحاول رؤية المفهوم ضمن سياقاته الكلية وفحص منظوماته، وتبصر عناصره، ومستوياته، وتقديم محاولة نقدية لعالم المفاهيم فى بنائه الذاتى، أو فى استخدامه الفعلى والواقعى واستشراف واعتبار مآلات هذا المفهوم، وقدراته، وإمكاناته، فضلاً عن التطرق إلى الإمكانات الكلية البنائية للمفهوم وتوابعها من إماكانات التفعيل والتوظيف. وتأتى الأهمية فى ظل مفاهيم تتوافد إلينا من كل مكان لتنتشر فى أوساط معرفية كبيرة ومجالات معرفية متعددة، بعد أن عاصرنا حالة من السيولة المفاهيمية وعمليات الانتقال المفاهيمى من مفاهيم إلى أخرى للدلالة على ظاهرة تكاد تكون واحدة. (عبد الفتاح، ٢٠٠٧، ٣٥)

كما يتجسد -هنا- دور إعادة بناء المفاهيم كمدخل هام وضرورى لعملية توطين المفاهيم الوافدة، ذلك أن قواعد هندسة المفاهيم لا تتطلب إتخاذ موقف مسبق من ذلك الاتجاه الذى ينادى بالإفادة من الغرب، إلا أنه لايجعل الاستفادة من حضارة الغرب أو مفاهيمها أمر مطلق، فالإفادة مداخلها كثيرة وعناصرها متعددة، أما حصرها فى التقليد والنقل قد يجعلها أمراً غير محمود العواقب. (اسماعيل، ٢٠٠٨، ٢٩)

وتبرز أهمية هذا الدور- أيضاً- فى إطار قراءة الشواهد السابقة التى تؤكد الضرورة الملحة لتحليل المفاهيم والمصطلحات وتوضيح دلالتها؛ لارتباطه الوثيق بالحفاظ على الهوية

العربية وحماية وجودها، خاصة مع براعة الغرب فى استحداث مفاهيم جديدة يتم فيها ضخ مضامين ودلالات مستمدة من بيئته وثقافته، وتسارع العرب فى استقبال هذه المفاهيم بشغف دون تمحيص أوغربلة لمدلولاتها الغربية، وترديدها فى حقول معرفية مختلفة، مع المطالبة بتفعيل مضامينها دون اعتبار ارتباط تلك المفاهيم والمصطلحات بجذورها التاريخية، وتبعاتها المعرفية، وصيرورتها فى منظومة حضارية وفلسفية تختلف عن منظومة الحضارة العربية. (الأهدل، ١٤٣٦هـ، ٣)

وبالتالى فإن تجاهل عملية إعادة البناء قبل التوطين أمر غير محمود وله مخاطره. إذ أن القصور في استيعاب المفاهيم والمصطلحات الوافدة هو ذاته الذي يقود إلى اختزال استيعاب التطور العلمي والمعرفي في اقتراض مفاهيم متسقة مع المفاهيم والمصطلحات الأصلية التي يُراد نقلها دون نقد أو تمحيص، أي إنها تراعى الترادف بينهما فحسب دون النظر إلى طرائق صوغ هذه المفاهيم الأصلية ذاتها واتساقها الداخلي، ومن دون الانطلاق من الخلفية العلمية والمعرفية، والبيئة الثقافية والإبستيمية(المعرفية)، والشروط الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بها، وعليه وإذا كانت الجماعة العلمية راغبةً فى اللحاق بركب التطور العلمي ومواكبته، فإن عليها اتباع نهج متطور للتأصيل المفاهيمى والمصطلحي يسير وفق وتيرة مستمرة ونسق واضح يفيد فى الاستيعاب التلقائى الكامل، والتبيئة التامة(التوطين) للمفاهيم. (ديانى، ٢٠١٧، ٩)

ويمكن النظر إلى مدخل إعادة بناء المفاهيم باعتباره نهج متميز يمكن اتباعه لتجاوز الإشكالات المفاهيمية التى تتبع النقل غير الواعى للمفاهيم الوافدة والتوطين غير الآمن لها، حيث أنه يمكن أن يقدم أدواراً هامة فى توطين المفاهيم الوافدة، ويتمثل أهمها فيما يلى:

أ) تقديم موقف نقدى إبستمولوجى يحدد على أساسه قابلية المفهوم للتوطين:

قد تكون عملية فهم أفكار ومفاهيم الغرب والتعامل معها إفادة، إلا أنه فى رفض بعضها والتحفظ على بعضها إفادة أيضاً، وهذا أمر يتوقف على فهم المقولات العامة من خلال تحليل المفاهيم وتحديد مضامينها، ووضوح معانيها حتى لا تكون مدخلاً للشعارات التى تتزين بالعملية شكلاً، وتتخفى تحت غطاء الانفتاح الحضارى، ويظل التعامل فى حدود ما يسمى بالأساطير العلمية والحضارية. (إسماعيل، ٢٠٠٨، ٣٠) إذ أن عملية إعادة البناء بما تنطوى عليه من عمليات النقد والكشف والبناء لا تعنى رفض الآخر مطلقاً، أو اتخاذ موقف متحيز ومسبق، لكنها توجه الجهد نحو استيعاب الأخر كمركب معقد يتم تفكيكه، من خلال اتخاذ موقف نقدى

إبستمولوجى مهمته إعادة بناء المفهوم انطلاقاً منه لإعادة بناء العلوم الإنسانية بناءً جديداً، ثم إعادة بناء الذات الخصوصية .(خوانى، ٢٠٠٥، ١٥٧)

ب) إبراز الدلالات والقيم الباطنة وأشكال اللامعقولية للمفاهيم الوافدة قبل عملية التوطين:

وفقًا لإعادة بناء المفاهيم، فإن المشكلة الأساسية ليست المفهوم فى حد ذاته إنما فى الاختلاف الحاد على معناه ودلالاته وقيمه المتضمنة، والفرق الكبير بين التنظير له وبين حقائقه الموضوعية الملموسة على أرض الواقع، وكثيراً ما نرى النظريات والأيديولوجيات إما تمارس خفض المعقولية والقيمة الأخلاقية لمفاهيمها، أو تكون معاييرها مزدوجة فى الدلالة والمعنى عند نزولها لساحة الفعل الإنسانى، لتتفاقم مشكلة استغلال المفاهيم فى تحقيق غايات الهيمنة لقوى الاقتصاد والسياسة وبخطاب يحمل فى طياته مفاهيم تلامس القضايا الجوهرية للإنسان ولكنها قد لا تعدو تلميعاً لحركة مصالح كبرى يجرى تنفيذها ضمن استراتيجية معدة للهيمنة على العالم. (آل حبيل، ٢٠٠١، ٩٩) وتتصدى عمليات إعادة البناء المفاهيمى لمهمة إبراز الدلالات والقيم المتضمنة، والكشف عن أشكال اللامعقولية للمفاهيم الوافدة قبل البدء فى عمليات التوطين.

ج) إعادة النظر بكل ما لا ينسجم مع الثقافة الناقلة والفكر المُوَطِّن :

تسمح عملية إعادة البناء بالتعامل العقلانى مع المفاهيم الوافدة، وذلك بإبداء الرغبة والتوجه نحو استقبال كل ماهو ثقافى شرط الاقتراب قدر الإمكان من الواقع وتفكيك لغة الخطاب السابق أو الباعث، ونقد القيم السكونية، والتطلع إلى القيم الإيجابية النشطة على أسس برهانية، وعلى وفق منطق إعادة النظر بكل مالا ينسجم من الثقافة الموروثة وطبيعة الفكر الناقل، ومع الواقع الذى يسعى إلى أن يمتلك سمة ومقومات النهوض، عند ذلك تبرز الضرورة لإعادة بناء فكر تربوى عربى جديد قادر على التخلص من الأيديولوجيات المهيمنة، وفكر ما قبل استعادة الذات العربية ووعيها. (زاهد،٢٠١٠، ١٦٠) ولإعادة بناء المفاهيم دور هام فى ذلك خاصةً مع قدرته على إزالة كافة عوامل الاغتراب والهيمنة التى تسيطر على الدلالات والمعانى الضمنية للمفاهيم الوافدة.

د) تقديم رؤية منهجية مرنة لتأصيل المفاهيم:

يصحب عملية إعادة بناء المفاهيم فى الغالب وجود رؤية منهجية واضحة لضبط وتأصيل المفاهيم خاصة المفاهيم الوافدة. وهوأمر له أهميته المعرفية والمنهجية خاصة مع وجود

فيض متراكم من التعريفات التى تعود إلى مراحل تاريخية مختلفة، وإلى سياقات مجتمعية متباينة، وإلى تيارات فكرية متنوعة، وبعد أن غاب البعد المنهجى الذى يضع التعريفات فى سياقها التاريخى وفى أنساقها الفكرية، وندرة وجود نسيج واضح بين هذه التعريفات والمفاهيم، حيث تقدم الدراسات فيض من المفاهيم الانتقائية يتم اختيارها وفقاً لقناعات المفكرين الذاتية حيث يقدم كل كاتب فى النهاية تعريفه الخاص مدعياً الطابع الإبداعى لتعريفه، الأمر الذى يزيد من تضاعف المشكلة ويكثف من التعريفات التى تضفى مزيداً من الغموض، والتى لا تقوم على أسس منهجية واضحة ولا تقوم على أساس فكرى محدد أو نظرية واضحة أو روح نقدية متجددة تتجاوز حالة البؤس المنهجى عند التعامل مع المفاهيم. (وطفة،٢٠٠٣، ١٥٣)

هـ) الانطلاق من عملية التوطين إلى إنشاء جهاز مفاهيمى عربى يضاهى نظيره الغربى:

يعد مشروع بناء المفاهيم وتجديدها من التحديات الفكرية التى يمكن طرحها ضمن مشروع فلسفى حضارى، ذلك أن الرهان الحقيقى لتخليص الخطاب الفلسفى العربى من الجمود والخمود فى اعتقاد بعض المفكرين لا يتأتى إلا بتجديد الموروث المفاهيمى وتأصيله، وعليه بات من الضرورى بذل الجهد الفلسفى انطلاقاً من إنشاء جهاز مفاهيمى ذاتى وخاص يضاهى الأجهزة المفاهيمية الغربية فى القوة والجدارة ويتمايز عنه فى الوقت ذاته، ويكون جزء من مهمته إعادة النظر فى النموذج المفاهيمى الغربى، والتحرر من سطوته والتأسيس فى المقابل لترسانه مفاهيمية منتجة وغير مقلدة نابعة من عمق الهوية العربية والإسلامية .(ابن دنيا، ٢٠١٧، ١٤٤)

وبناء على ماسبق، فإن إعادة بناء المفاهيم له أهمية كبرى فى التعامل العلمى الموضوعى مع المفاهيم الوافدة من خلال منهجية علمية واضحة ورؤية منهجية نقدية تساعد فى إتخاذ موقف واضح تجاه تلك المفاهيم قبل الشروع فى عملية التوطين، وتأتى الأهمية القصوى فى الحقل التربوى، حيث تغيب المنهجية العلمية فى تأصيل المفاهيم التربوية فى أغلب الدراسات التربوية التقليدية وهى المنوطة بتأصيل المفاهيم ذات العلاقة بالموضوعات والقضايا التربوية، ولهذا نجد عددًا كبيرًا من المفاهيم فاقداً للرؤية الإيجابية والموضوعية تجاه الكثير من القضايا التربوية العربية.

٣- خطوات وعمليات إعادة بناء المفاهيم:

إن البحث في المصطلحات والمفاهيم بصفة عامة ليس بالأمر الهين، بل هو عمل معقد تعقيد المصطلحات والمفاهيم ذاتها، لارتباطها بسياقات مختلفة وبمؤشرات متعددة، مما يتطلب

قراءتها قراءة دقيقة ونقدية لتكون مرآة عاكسة تعبر عن مضامينها في مختلف السياقات، وليستفيد منها الباحثون في العديد من المجالات والتخصصات بجملة من المعطيات والمعلومات والحقائق التي تساعده فى قراءة وتحليل الظواهر والأحداث وفهم تطوراتها. (دغبار، ٢٠١٧، ٢٨٩) لذا تأتى عمليات بناء وإعادة بناء المفاهيم لتتصدى للإشكال الناجم عن طبيعة تحديد نطاق العلم فى الحقل المعرفى، فأى بحث –خاصة السوسيولوجى والتربوى– يمكن قراءته وتتبعه واستنطاقه من خلال بناء المفاهيم وتطورها، وإبراز حدودها، وبلورة تصور واضح لاستقلاليتها فى أى مجال معرفى.(زيانى، ٢٠١٨، ٤٣٥).

غير أن عملية بناء المفاهيم هى أكثر من مجرد إعطاء تعريف يفى بالوصف، بل بناء مجرد يستهدف تفسير ماهو واقعى، وينطوى على عدة مراحل تتميز بالشمولية والمرونة، أبرزها تحديد الأبعاد التى تكونه والتى يفسر من خلالها دلالاته على الواقع، ثم تحديد الشواهد التى تمكن من قياس الأبعاد والمؤشرات، وتتناسب سهولة عملية البناء طردياً مع بساطة المفهوم أوتعقيده، فهناك مفاهيم بسيطة بديهية فى الفهم ليس لها إلا بعد واحد ومؤشر واحد، وهناك مفاهيم معقدة جدًا حتى إنها تستوجب تفكيك بعض الأبعاد إلى أجزاء ومكونات قبل الوصول إلى المؤشرات. (زيانى، ٢٠١٨، ٤٣٥– ٤٣٦)

إذ تقوم عملية بناء المفاهيم على تحليل دقيق وعميق للنمط المعرفى الذى يستخدم فيه المفهوم، وهو ما يحتاج إلى تحليل دقيق للعناصر الأساسية والفرعية المرتبطة بمفهوم ما، ووضعها فى الأطرالمعرفية cognitive style والسياقات الفكرية thinking style التى تستخدم فيها للدلالة على معانى محددة، ومن هذا المنطلق فإن بناء المفاهيم يمكن أن يتم من خلال استراتيجية محكمة تنطوى على المراحل أو الخطوات التى تمر بها عملية البناء، و تتمثل فى: مرحلة الدوافع والصور الذهنية، مرحلة الاستقراء المنطقى، مرحلة الاستدلال المعرفى، مرحلة السياقات الفكرية، الأطر المعرفية، الدلالات اللفظية والاصطلاحية. (محمد، ٢٠١٢، ١٩٣٨– ١٩٤١)

أما عملية إعادة بناء المفاهيم كعملية كبرى فإن الشروع بها يتطلب أكثر من عملية متشابكة يمكن النظر إليها كخطوات بنائية متسلسلة مرنه، وتختلف هذه الخطوات حسب طبيعة المفهوم، وتتلخص تلك العملية فيما يلى: (إسماعيل، ٢٠٠٨، ٢٨–٢٩)

- تحديد المفهوم وإلى أى تصنيف ينتمى نسب المفهوم إن صح هذا التعبير وهو جل اهتمام هذه الخطوة.

- بعد الاطمئنان إلى نسبة المفهوم، لابد من تحديد المقاصد التى تتم من أجلها عملية البناء.
- البحث عن هوية المفهوم من حيث "مرجعيته- ومصدريته" بما يفيد فى النظر إلى سيرة المفهوم ذاته وتطوره، إن كان قابلاً للتطوير، أو التعديل، أو الإضافة، أو الإسقاط .
- فى ضوء الخطوات الثلاث السابقة يتم البحث فى الوضعية الراهنة للمفهوم وما آل إليه من تعامل سواء فى بنيته المعرفية أو فى البنية المعرفية الناقلة إن كان من المفاهيم الرحالة التى يجب أن تأخذ معانى الرحالة فيها بعناصرها الثلاث (الإنسان، المكان، الزمان).
- تشكل العناصر الأربعة السابقة مستلزمات أساسية لاتخاذ موقف تجاه المفهوم من حيث "اللفظ، المعنى، اللفظ والمعنى، أثر تركيب المفهوم على الموقف من المفهوم"، وتحديد الأهمية فى البنية المعرفية، والوزن فى المنظومة المفاهيمية، وبناء الموقف العام.
- بناءً على الموقف الواعى من المفهوم تتم عمليات "المراجعة" ، و" النقد".
- فى ضوء الموقف المفاهيمى، وعناصر المراجعة للمفهوم، وحيثيات النقد، تبدأ خطوة مهمة فى تحديد إعادة البناء التجريبى للمفهوم وفق إجراءات محددة، وقواعد منضبطة، وغايات دقيقة مع الأخذ فى الاعتبار أن عملية إعادة البناء ليست كتلة صماء بل تنطوى على تعامل متنوع مع الفئات المفاهيمية .

وهنا يجدر الإشارة إلى مرونة تلك العمليات فعلى الرغم من كونها عمليات أساسية إلا أنها تختلف باختلاف نوعية المفهوم المراد بنائه وطبيعته والهدف من عملية إعادة بنائه، ورؤية الباحثين، وهوأمر يمكن ملاحظته بسهولة عند مراجعات الأدبيات والدراسات التى تعرضت لإعادة بناء بعض المفاهيم.

فقد قدم (جعفر، ٢٠٠٨، ١٦٢-١٨٤) نموذج ينطوى على عدة خطوات هى: تحليل المفهوم فى اللغة العربية، وفى اللغة والأدبيات غير العربية، سيرة المفهوم تطوراً وتاريخاً ومآلاً، وترجمة المفهوم ونقلة إلى اللغة العربية، وبحث البديل الخاص بالمفهوم، وتحليل منظومة المفاهيم المرتبطة بالمفهوم، وموقع المفهوم فى خريطة المفاهيم، ثم كيفية تشغيل المفهوم فى النسق المعرفى والواقع العملى، ومستويات المفهوم وبناء الخبرة.

وفى تشابة كبير قدم (عارف، ٢٠٠٨، ٢٦٠-٣٠٠) نموذج آخر لمفهومين متداخلين فى الدلالة هما الثقافة والحضارة، ويعتمد هذا النموذج على تتبع تطور كل مفهوم فى دلالاته الأصلية، وسيرة المفهوم بعد ترجمته إلى العربية، وتتبع دلالة المفهوم لكل منهما بعد التعريب

ومدى حفاظه على الدلالات الأصلية، ثم إعادة التعريف لكل منهما لفصل الدلالة التى تم دمجها أو خلطها. ويؤكد فى نهاية العملية أنه لا يسلك منهجاً واحداً، بل تتعدد منهجيته، ذلك أن المفاهيم المتداولة ليست على مستوى واحد من الخلط والتشوية، ولم تخضع فى الأساس لعملية بناء واحدة، وإنما هناك مستويات لهذه المفاهيم ونوعيات متباينة لها.

كما قدم (عبد الفتاح، ٢٠٠٧، ٢٤-٦٠) نموذج تجريبى لإعادة بناء المفاهيم بالتطبيق على مفهوم التربية المدنية، وتمثلت فى عدة مراحل على النحو التالى: بيان الحالة المفهومية، ودواعى إعادة البناء، وتوجهات البناء المفاهيمى، والوسط المفهومى ومنهج النظر السياقى للمفهوم، ومستويات بناء المفهوم، والعلاقات المفاهيمية، والقدرات والامكانيات المفاهيمية، والتجريب المفاهيمى، وأخير توضيح جوانب الأزمة والتأزيم فى عمليات بناء المفهوم فى الواقع.

وفى تجربة أخرى قدم (العالم، ٢٠١٦، ٩١- ١٠٥) نموذج بنائى استهدف التأصيل المعرفى لمفهوم القومية، وقد تضمن النموذج عدة خطوات منها: تعريف المفهوم ودلالته الأصلية، تحديد عناصرالمفهوم الموضوعية، تحديد العناصرالذاتية للمفهوم، وتحديد أهمية تلك العناصر.

وبناء على ما سبق، ومن خلال قراءة هذه النماذج المختلفة لإعادة بناء بعض المفاهيم الجدلية يتضح الاتفاق على ضرورة المبدأ، وفكرته الفلسفية وأهميته المعرفية، والاتفاق على غلبة الرؤية النقدية، كما يتضح أيضاً الاختلاف والتنوع فى وضع مسارات العملية البنائية فى إعادة بناء المفاهيم، حيث اختلفت من باحث لآخر وتنوعت باختلاف المفهوم المستهدف إعادة بنائه، وهو ما يؤكد عليه (اسماعيل، ٢٠٠٨، ٢٩) والذى وجه إلى ضرورة الأخذ فى الاعتبار أن عملية إعادة بناء المفاهيم أوالهندسة المفاهيمية تتطلب التدرج فى عملية البناء وفق قواعد الضرورات والحاجيات المفاهيمية، والآليات التحسينية؛ وهو أمر يشير بدقة إلى اتباع سلم الأولويات المفاهيمة، وتصاعده، وتراتبه.

المحور الثانى: دواعى التوجه نحو إعادة بناء المفاهيم الوافدة وتوطينها فى الفكر التربوى العربى المعاصر

إذا كانت الرموز والمفاهيم، المصطلحات في مجال العلوم الطبيعية تتسم غالبا بالثبات والحصر والوضوح، فإن الأمر في العلوم الاجتماعية والفكر الاجتماعى على خلاف ذلك. حيث تعج العلوم الاجتماعية بالعديد من المفاهيم والمصطلحات التي تتباين، وتتعدد التعريفات

والتصورات التي تعطى لها باختلاف المواقع الإيديولوجية، والمذاهب السياسية، والمدارس الفكرية. فالمفهوم الواحد يكون له أكثر من تعريف، وأكثر من دلالة الأمر الذي يؤدى إلى الفوضى والاضطراب أحيانا في الفكرالاجتماعي. (ابراش، ٢٠٠٩، ٢٣٥)

ويزداد الأمر تعقيداً فى الفكر التربوى العربى المعاصر، إذ تبنى معالمه فى ظل ارتباط واسع للحقل التربوى مع غيره من الحقول المعرفية التى تمده بالمفاهيم التى لاحصر لها، وتتداخل فيما بينها لتشكل بنية ومفاصل الفكر التربوى العربى، كما أن انفتاحه الشديد على المستجدات العالمية يجعل له حصيلة كبيرة من المفاهيم الوافدة التى تستدعى بالضرورة إعادة بنائها قبل توطينها.

وانطلاقاً من ذلك يواجه الفكر التربوى العربى المعاصر بعض التحديات والإشكاليات التى تمثل دواعى أو مبررات للتوجه نحو إعادة بناء المفاهيم التربوية الوافدة ومحاولة توطينها فى سبيل الحد من مخاطر الاستهلاك غير المبرر، والاستخدام غير الواعى لها، ومن أهم هذه الدواعى والمبررات ما يلى:

١- المثاقفة أو التثاقف Acculturation وتحديات الأمن الثقافى:

المثاقفة هى إحدى أهم العمليات التى تفسر تكون الفكر العربى الحديث وتطوره، ومع أنها تعنى فى الاستعمال الشائع مسائل التفاعل واللقاء والتواصل ما بين الثقافات المختلفة، فإنها فى مفهومها العلمى- الذى تستخدمه دراسات الاتصال الثقافى- تشير إلى نمط معين من ظواهر الاحتكاك بين الثقافة الغربية والثقافات الأخرى التى يهمنا منها الثقافة العربية؛ باتت فيه المثاقفة سمة أفراد ومجتمعات بأكملها فقدت قيمها وثقافاتها التقليدية تحت وطأة السيطرة الخارجية الغربية متعددة الأشكال والوسائل، وبالتالى يمكن القول إن المثاقفة ليست مسألة لقاء بسيط بين ثقافتين مختلفتين بقدر ما هى مسألة لقاء معقد تسوده علاقات التحكم والسيطرة. (باروت، ٢٠٠٤، ٥٢)

وتعد هجرة المفاهيم والأفكار وانتقالها أحد العناصر الأساسية التى تقع فى فضاء عملية المثاقفة، وحين ينتقل مفهوم من ثقافة لأخرى بفعل عملية الاتصال الثقافى الناتجة فى مرحلة تكون الفكر العربى وتطوره عن مفعولات عملية المثاقفة، وما تنطوى إليه من تغييرات ثقافية، فإنه يسقط شىء من عناصره، وتضاف إليه عناصر جديدة كى يمكن إدراك معقوليته وتتحكم رؤية العالم فى الثقافة الأصلية، وفى دينامية التوفيق يتحول ماهو خارجى إلى داخلى، بل

ويغدو العنصر الخارجى عنصراً طبيعياً فى المنظومة التى تعيد بنائه. (باروت، ٢٠٠٤، ٥٣-٥٤) ومع عملية المثاقفة ومع كل هذا التطور التكنولوجي الهائل والتغيير في جغرافية الزمان والمكان، يطل علينا مصطلح الأمن الثقافي ليدق بقوة ناقوس الخطر من انهيار الحضارات وتدهور ثقافات الشعوب، ويعلن أهمية تواجده على الساحة المعاصرة وبقوة كمنهج ضروري في سياسات الدول كالأمن الاقتصادي والقومي والغذائي أو حتى السياسي.(جبر،٢٠١٥، ١٣٤-١٣٥) وبالتالى فإن فحص المفاهيم والتدقيق فيها واستباط مدلولاتها يعد أمراً ضرورياً لضمان التثاقف الآمن بعيدًا عن التأويل الخاطىء للمفاهيم والوقوع فى إشكاليات بالغة تطرحها عملية النقل غير الواعى.

٢- جدلية العلاقة بين البنية الاجتماعية والبنية المعرفية التربوية وضروراتها:

إن جدلية العلاقة بين البنى الاجتماعية والبنى المعرفية التربوية تقود حتمًا للحديث عن العلاقة بين التربية والمجتمع، وترتبط بالخوض في موضوع الارتباط بين الخطاب التربوي والخطاب الثقافي، وتشترك معظم المقاربات التي عالجت هذا الموضوع على الارتباط الوثيق بين التربية والمجتمع عمومًا وبين البنية المعرفية التربوية والبنية الاجتماعية، أما الاختلافات فتعلقت بنمط هذه العلاقة واتجاهها وقوتها، فالبعض أكد على تأثير المسألة الاجتماعية بكل عناصرها وأبعادها على تشكل المفاهيم والمعارف وتكونها في حين ذهبت اتجاهات أخرى إلى تأثير البنية المعرفية على الأوضاع الاجتماعية وعلى البنية الثقافية، ولكل مبرراته العلمية والمنهجية، وتبقى الخصوصيات الثقافية التي تميز المجتمعات عن بعضها البعض محدد محوري ومرتكز رئيسي يحرك هذه العلاقة ويوجهها إلى جانب الذات الباحثة بما تشتمل عليه من سمات شخصية وعلمية، وما تتوفر عليه من شروط ومعايير فاعل هام في هذه العلاقة. (عثمان؛ وبرادعى،٢٠١٧، ٦٤-٦٥)، وبالتالى فإن جدلية العلاقة بين البنية المعرفية والبنية الاجتماعية تمتد بالضرورة، إلى البنية التربوية لتصبح من الإشكاليات التي لا يمكن تجاوزها، وتُطرح بقوة أمام المشتغلين بالبحوث التربوية والفاعلين التربويين لتفرز جدالاً ونقاشاً بين القائمين على ضرورة انتقاء المفاهيم وربطها بالسياق المعرفى والاجتماعى والثقافى والتربوى؛ حتى تبرهن على ضرورية العلاقة القائمة بين البنية الاجتماعية والتربوية وأهميتها.

٣- ضبابية فلسفة التربية وانعكاس ذلك على فهم النظام التربوى:

تقوم فلسفة التربية على جهد عقلى نقدى لبناء، ومناقشة، وتحليل، ونقد المفاهيم الأساسية التى يرتكز عليها العمل التربوى كالطبيعة الإنسانية، والحرية، والثقافة، والمعرفة،

والديمقراطية، وغير ذلك من مفاهيم تقوم عليها حركة التربية، ويؤسس عليها الفكر التربوى وما يرتبط به من قدرة على فهم الواقع ومشكلاته نابعة من حرص فلسفة التربية على توجيه النظر الكلى وتحكيم البصرالاجتماعى. (على، ١٩٩٥، ٢١-٢٢)، وبالتالى فإن وجود فلسفة تربوية عربية واضحة توجه العمل التربوى ضرورة لحركة تربوية رشيدة، وغيابها يجعل من التجديد التربوى ضرباً من الارتجال والوقوع من جديد فى الأخطاء القديمة، وإعادة التجارب الفاشلة. (تركى، ١٩٩٣، ٣٥) وتتضح هذه الحقيقة بجلاء حين تتغير فلسفة المجتمع وتضطرب الفلسفة التربوية فى التعامل مع التغيرات الحادثة ويحدث التخبط والارتجال؛ حيث يعمد المجتمع إلى تبنى مفاهيم وصيغ وممارسات تربوية مستعارة من مجتمعات أخرى مع غياب فلسفة تربوية واضحة تعكس آمال المجتمع وتتبنى خياراته، وحينها تفقد حتى العناصر الوافدة قيمتها ولا تحقق العائد التربوى المتوقع منها. (عبدالعال، ٢٠١٣، ٥٦١).

وبالتالى من المفترض أن تقوم فلسفة التربية فى أحد أبرز وظائفها باختبار وفحص المفاهيم والمصطلحات والأراء والتوجهات الموجهه لنظام التعليم ومدى ملائمتها للحقائق والممارسات فى الواقع وكلما زاد وضوح الرؤية الفلسفية زاد فهمنا للنظام التربوى بمكوناته ومحتواه، وخلاف ذلك يتبعه خلل فى الممارسة؛ لأن الاختلاف الفكرى فى ميدان التربية هو اختلاف فلسفى فى جوهره.(الحاج، ٢٠٠٣، ١٠٤) وهو ما يكاد يجمع عليه المفكرون التربويون الذين يرون أن أول داء فى واقعنا التربوى وأكبر علة أصابته بالوهن والعجز هو الضبابية مع غياب فلسفة تربوية عربية رشيدة تحمل مقومات التراث العربى والهوية الثقافية، وتحكم التعامل مع الواقع العربى واشكالياته، وتستشرف المستقبل العربى، وتفرض التعامل الرشيد مع تجليات الواقع العالمى. (عبد العال،٢٠١٣ ، ٥٤٣-٥٤٥) وعليه، فإن فلسفة التربية العربية وبكل ماتعانيه من ضبابية فى علاقتها بالواقع التربوى، تجد لزاما عليها اليوم أن تتصل بهذا الواقع وتخضعه لعملية مراجعة كلية، لكن عليها قبل ذلك أن تبدأ من المفاهيم عن طريق التحليل الدقيق لها ومراجعة قابليتها للتوطين.

٤- تنامى ظاهرة الاستهلاك التربوى العربى للمفاهيم الغربية دون نقد أو تمحيص :

رغم الاعتراف بأنه من الغفلة أن نصوغ فلسفة تربوية عربية بمعزل عن رؤى الواقع العالمى وتجلياته ومحركاته، ورياح التغيير التى حملتها العولمة، إلا أن العلوم الإنسانية والاجتماعية فى البلدان العربية والتربية من بينها قد بالغت فى استيراد معظم المفاهيم

والمصطلحات من الخارج، ولم تولى جهداً يذكر حتى فى نحتها أو إنتاجها أو إعادة بنائها، حتى أدمنت التربية تماماً عملية نقل المصطلحات دون إعمال فكر نقدى ودون فحص أو تمحيص، وأصبحت العلوم الاجتماعية والتربوية ناقلة لآخر ماتسمع، ولهذا فقدنا القدرة على تنظير المعرفة التربوية، وأصبحت عاجزة عن تسمية الأشياء بالشكل الذى أفقدها السيطرة على الواقع. (عبد العال،٢٠١٠، ٦٢)

وربما كان سبب انخداع جماهير النخبة (والمقصود هنا التربوية) وإقبالها على استيراد المفاهيم ومحاولة فرضها، ما لاحظته لعناوين هذه المفاهيم الوافدة من بريق ظنت أنه يمكن أن يشكل دافعاً إيجابياً فى إيقاظ الأمة وتحريكها، غير واعية أن هذه المحاولات ما زادتها إلا تراجعاً؛ لتثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن تحريك الأمة العربية لا يمكن أن يتم بما يخالف عقيدتها أو يتناقض مع مفاهيمها الأساسية. (العلوانى، ٢٠٠٨،١٠) وبالتالى إذا كنا مضطرين إلى التعامل مع الفكر الغربى يجب أولاً التخلص من النظرة الذاتية الدونية لذواتنا العربية، وعدم قبول لغة الاستعلاء الوافدة، وبعد ذلك يمكن استقبال هذه المفاهيم استقبالاً موضوعياً دون استهتار أو انبهار، وإخضاعها لعملية إعادة بناء فى ضوء المعطيات الثقافية والاجتماعية قبيل عملية التوطين.

٥- ضعف تأصيل المفاهيم الإنسانية فى الأيديولوجيات الثقافية والتربوية العربية:

يقرر البعض أن العقل العربى اليوم عقيماً لا ينتج المفاهيم، وبالتالى فإنه منح الأخر ضمنًا حق الإنتاج والصياغة معاً، وهو أمر له مخاطره على مكانة الفكر العربى المعاصر. (تريكى، ٢٠١٠، ١٤١)، وفى ذلك يؤكد (ديانى، ٢٠١٧، ٩) أن ضعف تأصيل المفاهيم العلمية باللغة العربية، والفوضى التي تسم الوضع الفكرى العربي المعاصر لا يمتّان إلى اللغة العربية بصلة، وهى منهما براء، من حيث هي لغة ووعاء للعلم والمعرفة والحضارة والدليل على ذلك تحملها النهضة الأولى للمجتمعات الإنسانية، بل إن أسباب ذلك تعود إلى فقر التراكم العلمي العربي المعاصر من جهة، وإلى تهاون الباحثين العرب في تأصيل فهم عربى صحيح وراسخ للمفاهيم الوافدة أوالموظفة وفق نسق علمى منهجى متسق من جهة ثانية.

ويزداد هذا الضعف فى الفكر التربوى العربى، خاصة وأن الأسلوب المتبع فى ملء الفراغ المفاهيمى التربوى بالاستعارة من الغرب، فننقل الفكرة ونقيضها بدون وعى، ودون اعتبار لخصوصية الأيديولوجيا والثقافة والفكر، ودون الوقوف أمام ما استعرناه موقفاً نقدياً، ودون قراءة الملابسات والظروف الاجتماعية التى احتضنت الأفكار والرؤى التى استعرناها من غيرنا.(عبد العال،٢٠١٣، ٥٥٠) وهو ما يؤكد ضرورة التوجه لإعادة بناء المفاهيم الوافدة وتأصيلها عربياً

٦- السيولة الثقافية وتراجع دور التربية فى درء مخاطر الهوية :

تتجه ظاهرة العولمة لصبغ المجتمعات ثقافياً بسمات تقوم على محاولة إلغاء الهوية والأصالة والثقافة المحلية من خلال نشر ثقافة وأنماط استهلاكية تخدم ثقافة مسيطرة وتحاول فرض السيطرة على غيرها، وتربويًا يسعى المستفيدون من هذه الظاهرة إلى توجيه النظم التعليمية فى إطار يخدم العولمة وذلك بالسيطرة الثقافية على المجتمعات. (نبيه، ٢٠٠٢، ٣٢)، وعلى هذا فإن العولمة تنطوى فى أهدافها على إقصاء الخصوصية، وتذويب الهوية، وتكييف العمل العقلى والفكرى فى موضوعات بعينها، وإنماء الاستهلاك ليس فقط فى صورة سلع وخدمات، وإنما فى أخطر أنماطه وهو الاستهلاك الثقافى الذى بدا بارزاً مع حالة السيولة الثقافية التى نعيشها، فى سبيل إحداث تغييرات قيمية تتوافق مع استراتيجياتهم الاقتصادية.

وفى ضوء مظاهر السيولة الثقافية، ومع إقرار البعض أن العقل العربى اليوم عقيماً لا ينتج المفاهيم بل مستهلكاً لها وهو أمر له مخاطره، إذ تصير الهوية مهددة بمفاهيم منتجة فى مخابر الآخر وبلغة الآخر، تنقل إلى عالمنا مشوهة غالباً لأنها صيغت صياغة مشوهة مغتربة عن طريق العقل الناقل، فكان للمفاهيم المتلقاه أثر بارز فى إعادة تشكيل هذا العقل حسب إرادة الملقى، بعد أن صيغت هذه المفاهيم التى شكلت هويته العلمية والحضارية صياغة غربية سواء على مستوى البناء المفهومى، أو على المستوى الصياغى، وبالتالى ودون مراعاة شروط وخصائص البناء تصبح تلك المفاهيم مشوهة للعقل العربى وموجهه لإعادة صياغة هوياتية جديدة للذات العربية المعاصرة فى عصر "حروب الهويات" أو "إعادة تشكيلها". (تريكى، ٢٠١٠، ١٤١)

وعلى ذلك، وفى ضوء ما نشهده من تراجع دور التربية فى الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية، فإن مواكبة التربية للسيولة الثقافية، والنزوع إلى تبنيها ينبغى أن يكون محصلته ثقافة محصنة هوياتياً، وهو أمر نفتقدة عربياً، وهنا لا نقصد فى بناء الهوية الدعوة إلى الإقصاء، أوالاستبعاد، أوالعزلة، إنما يجب الحذر من أن ثمة هويات معينة قد تتعرض للذوبان جراء تواصلها غير الواعى مع قوى كوكبية خاصة مع مظهرها الاصطلاحى والمفاهيمى التى يظهر فيها الصراع الهوياتى، وعليه فإن رسوخ الهوية وسيلة دفاع ضرورية ضد قوى النمذجة الثقافية.(تريكى،٢٠١٠، ١٤٦)

٧- خطورة الانزياح الدلالى المتنامى للمفاهيم التربوية :

مع التبعية الواضحة لفكرنا التربوى المعاصر للفكر التربوى الغربى، فإن أغلب المفاهيم والمصطلحات المشكلة لمعرفتنا التربوية، قد استعيرت وهى تحمل كل تحيزات النموذج المعرفى

الغربى المادى الحديث، وهذا النموذج المعرفى مرتبط بسياقة الثقافى الحضارى الذى نشأ فيه، ومن ثم كانت المصطلحات مستقرة فى هذا النموذج المعرفى، تفى بالغرض الذى صيغت من أجلة، ولكن كل هذا يضع حدوداً حضارية وتاريخية على فعاليتها خارج سياقها، ومن قصورها وانزياح دلالتها.(عبد العال، ٢٠١٠، ٦٢-٦٣)

وانتماء المفهوم والمصطلح إلى حقل معرفى محدد، يترتب عليه انتظامه فى علاقة جدل خصبة بحيث يصبح مولداً للمفاهيم ومنتجاً للمعرفة فى هذا الحقل من جهة، وخاضعاً للإطار الثقافى العام فى هذا الحقل، وحين ينتقل هذا المصطلح من حقل معرفى إلى حقل آخر ويتفاعل مع جهازه الاصطلاحى يحدث الانزياح الدلالى فتختلف دلالة المفهوم الواحد من حقل معرفى إلى آخر إذ يوجه الحقل مفهومه، ويحدد دلالته، والتربية فى الوقت الحالى مضطرة إلى نقل مصطلحات من حقول معرفية عديدة إلى حقلها الثقافى كونها شريدة معرفياً وحائرة تتنازعها علوم مختلفة هى الأخرى أبعد ما تكون حالياً عن الاستقرار نظريًا وعمليًا .(عبد العال، ٢٠١٠، ٦٧)

وبالتالى فإن المعرفة التربوية – فى واقع الحال – لم تؤسس على مفاهيم راسخة الدلالة بعد أن توجهت إلى ملء الفراغ المفاهيمى إما باستيراد المفاهيم من حقول معرفية أخرى أو باستيرادها من الفكر الغربى دون نقدها وتمحيصها أو إعادة بناءها، ودون قراءة الشروط الاجتماعية التى أحاطت بنائها. وتكمن المشكلة فيما يتبع عملية الاستيراد والنقل – سواء من حقول معرفية أخرى أو من ثقافات أخرى– من انزياح دلالى قد يعيق المفهوم فى إعطاء المعنى الحقيقى، وبالتالى تشوش المعرفة التربوية القائمة عليه، وتعوَّق بناء نظريات تربوية عربية قادرة على تفسير الواقع.

٨– ضعف مقومات التجديد فى الفكر التربوى العربى المعاصر:

إن حالة النكوص والتردى التى يعانى منها الفكر العربى المعاصر بصفة عامة، تجعلنا نتساءل عن مقومات التجديد فى زمن بلغت فيه أزمة العقل العربى والفكر العربى مالم تبلغه فى الأزمنة الماضية مجتمعة من الانهيار والتدنى إلى الحد الذى بات التساؤل الأهم عن مقومات الانهيار بدلاً من مقومات التجديد. (بنساسى، ٢٠٠٥، ٢٢٤) فالتداعى والنكوص والتيهان الفكرى والوهن العقلى الذى أمسى يستشرى فى كيان الذات العربية وفكرها، إنما هو راجع فى نظر بعض المفكرين العرب، إلى الانبهار بالنموذج الفلسفى الغربى، والاعتقاد بأنه النموذج العقلانى الأوحد الجازم الذى لا يقبل النقد أو الاستبدال، وهو ما أدى إلى انتكاس الفكر العربى

وانحساره، وبالتالى تأتى الحاجة لوضع رؤية تأصيلية كفيلة بإنتاج فلسفة عربية مبدعة لا مقلدة، وتجديد الفكر العربى وحل إشكالاته الفلسفية، من خلال أحد أهم مقوماته وهو تجديد المفاهيم الذى يتطلب ما يلى: (ابن دنيا، ٢٠١٧، ١٤٠-١٤٣)

- تجديد العقل العربى والمنهج للوقوف على مكامن الضعف فى بنيته الفكرية، وتنمية قدرته على إبداع أنساق فلسفية متجددة.
- إنتاج المفاهيم المأصولة باعتبار أن الفكر لا يقوم له مبنى ولا يستقيم له معنى ما لم ينشىء مفاهيمه ومصطلحاته الذاتية الخاصة.
- إعادة ضبط المفاهيم وتدقيقها والكشف عن آليات إنتاجها، وذلك من خلال إخضاع المفاهيم والمقولات لعمليات التطويع وإعادة البناء؛ لأن تجديد الخطاب الفلسفى لا يتحقق إلا باخضاع المفاهيم والمقولات والتصورات للتدقيق والمراجعة النقدية.

وبالتالى تعتبر قدرة العقل العربى على إنتاج وإبداع وتأصيل المفاهيم الحداثية المجددة للفكر التربوى أحد أهم مقومات التجديد فى الفكر التربوى العربى، وضعفها أحد مقدمات الانهيار. وعليه، إن اضطرت التربية للتعامل مع المفاهيم الوافدة المجددة فإن عليها أولاً إعادة بناء المفاهيم وضبطها، وإخضاعها للتدقيق والمراجعة لتكييفها مع البيئة الاجتماعية والثقافية والتربوية العربية.

المحور الثالث: مفهوم المواطنة العالمية بين إعادة البناء وقابلية التوطين (أنموذج تطبيقى)

فى ظل المتغيرات الحاصلة على الساحة العالمية تصاعد لحن الكوكبية، وأصبحت القيم الإنسانية والحضارية المعاصرة المتفرعة عن مبادىء الإنسان كالمواطنة، وحقوق الإنسان، والتسامح، وقبول الاختلاف من بين أهم المفاهيم القيمية الحداثية التى واكبت التحولات الكبرى التى عاشها العالم وحملتها رياح العولمة إلى البلدان العربية والإسلامية، وإذا كان هذا المعطى الكونى الجديد قد طرح أسئلة النظر الفلسفى والسوسيولوجى والسياسى، فإنه أمسى مطلوباً امتلاك رؤية تربوية واضحة وموقف حضارى منفتح ومتمكن من استيعاب تحولات اللحظة الحضارية الراهنة، وإبراز النماذج العربية والإسلامية فى تلك المجالات، والبحث فى إمكانية إعطاء التربية على المواطنة العالمية مشروعية تربوية واجتماعية خلال مسارات التحول الحداثى، خاصة وأن السؤال المركزى لم يعد كيف نضع حداً لتدفق المفاهيم والأفكار

والمعلومات من الشمال إلى الجنوب؟، بل كيف يمكن التفاعل معها والانخراط فى الحوار الإيجابى بشأنها دون الإفراط فى الهوية الثقافية؟.(جيدورى، ٢٠١٢، ٧٨)

ويعتبر مفهوم المواطنة العالمية من المفاهيم الوافدة التى تحمل مضموناً حضارياً أنتجه الحراك العالمى فى العقود الأخيرة، والذى يجب الوقوف عنده، نظراً لما أفرزه هذا المفهوم من جدال أكاديمى حاد نتج عنه تباين الآراء حول مشروعيته ما بين مؤيد ومعارض، وانطلاقاً من ذلك يقدم البحث الحالى عدة **مبررات لاختيار مفهوم المواطنة العالمية** كأنموذج مفاهيمى يجب إخضاعه لعملية إعادة البناء قبل التوطين فى الفكر التربوى العربى، ومن أهم هذه المبررات:

- ارتباط مفهوم المواطنة عموماً عبر تطوره التاريخى بمجموعة من القيم الفلسفية والفكرية والدينية والثقافية والاجتماعية المتباينة مما جعل المفهوم مفهوماً ديناميكياً مثاراً باستمرار سياسياً وأيديولوجياً وأكاديمياً وتربوياً بطرح بالغ الحساسية والتعقيد، فالمعالجة المتعمقة لمفهوم المواطنة تتطلب حتمية الوعى بجذوره وخلفياته وتبعاته الفكرية والحضارية.(خذارية، ٢٠١٧، ٢٢٤)
- حالة المفهوم العولمية، تلك الحالة التى يحرك فيها أى مفهوم على الساحة العالمية والكونية فى مسافة جغرافية واسعة، ووفقاً لحالة مثل تلك المفاهيم المفصلية والاكتساحية، وبالتالى لايتحرك على الساحة العالمية على شاكلة واحدة ولا بنفس الزخم، والقلق من أن يتشكل هذا الانتشار وفقاً لقواعد المصالح. (عبد الفتاح، ٢٠٠٧، ٢٨) هو ما يدفعنا إلى القيام بإعادة بناءه.
- يقع الاختيار على مفهوم المواطنة العالمية كمفهوم سياسى وتربوى بارز ومعقد ومتعدد الأبعاد انطلاقاً من الإيمان بأن التربية فعل سياسى، والسياسة فعل تربوى، ولايمكن الفصل بينهما، فكلاهما يستهدف المواطن كفرد أو كعضو فى جماعة؛ ليس من أجل إعادة إنتاجه على نحو يضمن خضوعه لأصحاب المصالح، بل يستهدف تكوين المواطن الحر القادر على الاسهام بفعالية وبمساواة فى كل مناشط الحياة. (نصار(أ)، ٢٠١٦، ٨٩).
- أن مفهوم المواطنة بصفة عامة، ومفهوم المواطنة العالمية بصفة خاصة يستند بالأساس إلى التربية كعملية أساسية ووسيلة رئيسية فى ترسيخ الأبعاد المعرفية والمهارية والقيمية والوجدانية التى تشكل جوهر ومضمون مفهوم المواطنة، وبالتالى فإن الفهم الواعى للمفهوم، وإزالة اللبس والغموض الذى قد يعتريه هو الضامن الأول لنجاح التربية عليه.
- تزايد الطرح العالمى والمحلى لضرورة تبنى مبادرات التربية على المواطنة العالمية بشكل مبالغ فيه، دون أن يسبق ذلك عمليات تأصيل للمفهوم ذاته فى الثقافة العربية أو فى

الثقافات الأخرى، وبما يكفى للاطمئنان على مدى استيفاؤه لجملة الشروط الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية اللازمة للحفاظ على خصوصية البيئة العربية والهوية والسيادة الوطنية.

- نقد المفهوم نفسه فى بيئته الأصلية؛ وهو ماتم ملاحظته من خلال قراءة الدراسات والأدبيات الأجنبية التى تناولت مفهوم المواطنة العالمية والتى تتناول فى أغلبها بعض جوانب النقد المقدمة للمفهوم، وبالتالى ماذا علينا نحن الناقلون والمستقبلون للمفهوم؟ ومعظم الدراسات والأبحاث -إلا قليل- تتجاوز عملية النقد إلى عملية التوظيف التربوى المباشر للمفهوم وسبل تطبيقه.

وتأسيساً على ذلك، تجد الباحثة أن مفهوم المواطنة العالمية بات من المفاهيم التى تفرض ضرورة إعادة البناء تجنباً لمخاطر عمليات الأخذ أو الاستعارة المباشرة للمفهوم دون مراعاة للاختلافات الواضحة بين البيئة الأصلية المصدرة له، والبيئة العربية المستوردة له، خاصة وأنه مفهوم يستهدف علاقة المواطن بالوطن، وفى هذا الإطار يقدم البحث عمليات إعادة البناء للمفهوم من خلال عدة عمليات متسلسلة انبثقت من طبيعة المفهوم، وذلك على النحو التالى:

١- التطور البنائى التاريخى لمفهوم المواطنة العالمية:

غالباً ما يقع بعض الدارسين تحت وطأة اسقاطات الفكر الغربى لاسيما فى تحديد مفهوم المواطنة إغفالاً لقضية غاية فى الأهمية هى أن المفاهيم تتموضع لأنها قد تظهر فى ظروف تاريخية وحضارية مغايرة تماماً للتشكل المفاهيمى العربى، فيقوم الدارسون بنقل المصطلح والمفهوم من صيرورته الأوروبية أو الغربية إلى الواقع الفكرى العربى المعاصر مما يحدث تشوهات فى البنية المعرفية والتطبيقات اللاحقة عليها من دون الالتفات إلى أن للمفهوم جذراً حضارياً ورحماً تاريخياً. (زاهد، ٢٠١٠، ١٥٦-١٦٠)

ومفهوم المواطنة – كما استقر فى الفكر السياسي المعاصر- هو مفهوم تاريخى شامل ومعقد، اكتسب مع الحركة التاريخية أبعادًا عديدة منها ما هو مادى- قانونى، ومنها ماهو ثقافى سلوكى، وهو وسيلة وغاية يمكن بلوغها تدريجياً، وينتج انطلاقاً من حراك اجتماعى معقد تتحكم فيه السيرورة التاريخية المستمرة، حيث تتخذ مدخلاته القانونية والثقافية وتترجم إنتاجاته الحضارية عملياً من خلال الدولة؛ لذا فإن للمفهوم أبعاداً متشابكة يصعب معها نفى حضور

مجموع القيم المشكلة لتلك الحضارة، بما فيها عقائد المجتمعات وثقافته، والمتغيرات العالمية الكبرى.(الكوارى، ٢٠٠١، ١٢٣- ١٢٤).

وتجمع الأدبيات السياسية على أن المواطنة فى الأصل مفهوم غربى المنشأ، تعكس جذوره التطورالتاريخى والاجتماعى الغربى، وقد اكتسب هذا المفهوم معان مختلفة؛ نظراً لارتباطه بتطور الجماعة السياسية فى الغرب والتشكيلات الاجتماعية داخلها بدءًا من مجتمع "المدينة" اليونانية القديمة وحتى ظهور الدولة القومية الحديثة. (الطراف،٢٠١١، ١٣) (زبون، ٢٠٠٩، ٣٦٧)

إذ تعود البذور الأولى لمفهوم المواطنة تاريخياً إلى المجتمع الإغريقى وما سنَه من أنظمة وقوانين- كانت طابع المدن اليونانية فى ذلك الوقت- تؤكد على تحقيق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع بعدما كان يعانونه من ظلم، وعلى نفس النهج الفكرى كانت محاولات المجتمع الرومانى فى وضع تصورات أولية لهذا المفهوم فى العصر القديم تقوم على العدل والمساواة، لتترك تلك المجتمعات شيء من التنظيم لحياة الناس وعلاقتهم فيما بينهم وبين الأنظمة الحاكمة. (حمدان، ٢٠٠٨، ٢٠٥)

وتبلور مفهوم المواطنة "citizenship" مع عملية المخاض الطويل التى عاشتها أوروبا أثناء تشكل الدول القومية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وبدأ يأخذ دلالته على يد مفكرى عصر التنوير أمثال: توماس هوبز Tomas Hobbes، وجان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau اللذان أعطيا لمفهوم المواطن والمواطنة أبعاداً واضحة تجعل للأفراد فى المجتمع حقوقاً يحظون بها بعد أن كانت امتيازاً للنخبة السياسية والاجتماعية من قبل، وقد مكنتهم تلك الحقوق من ممارسة الأدوار الاجتماعية والسياسية خاصة التى تتعلق بالشؤون العامة فى المجتمع.(محمود، ٢٠١٨، ٦٨).

وقد تشكل المفهوم فى تلك الفترة مستظلاً بقواعد الحداثة وفلسفة التنوير وطموحات الليبرالية نحو تحقيق الحرية والديمقراطية، حتى اكتملت معالمه فى القرن التاسع عشر باعتباره الرابط السياسي بين الفرد والدولة، والعاكس لتصور الهوية القومية. (نصار(أ)، ٢٠١٦، ٨٠) حيث بدأ مفهوم المواطنة فى منتصف القرن التاسع يتحدد بالعلاقة بين الفرد والدولة، وبدلالة المساواة أمام القانون والمشاركة فى الحياة العامة، وقد أصبح هذا المفهوم يشير إلى نموذجاً مثالياً يأخذ فيه المواطن صورة الفرد الذى يعى انتماءه الاجتماعى والسياسى. (محمود، ٢٠١٨، ٦٨)

وكان الهدف من ذلك الإقرار بكرامة الإنسان والمساواة بين الآخرين، واعتبارها قيمة حضارية وإنسانية أقرت حق الفرد فى المشاركة الفاعلة فى مؤسسات الدولة السياسية والمدنية

الحديثة فى الغرب الأوروبى لتصبح المواطنة أساس الشرعية السياسية لنظام الحكم فى الدولة. وعرفت المواطنة منذ ذلك الحين على أنها: منظومة حقوقية، وقيمية، وسلوكية تتشكل من خلال نسيج علاقات الأفراد ونظام تفاعلاتهم داخل مختلف بيئاتهم العائلية والسياسية والثقافية والاجتماعية ...إلخ، وبالتالى تمثل الحركة التاريخية التى تهدف باستمرار إلى توسيع مساحة مشاركة المواطن فى الحياة العامة للمجتمع. (الشيبانى، ٢٠١٥، ٣٦- ٣٧)

ونظرًا لأهمية المضامين الجوهرية لمفهوم المواطنة والتى أسست للعدالة والمساواة فى المجتمعات الغربية، بدأت الترجمة العربية لمصطلح "citizenship" فى دائرة الحضارة الغربية بالمواطنة، وقد اعتبرها البعض ترجمة مقبولة وموفقة، حيث رأى الباحثون والمفكرون العرب تأصيلاً للمفهوم وتقريباً له من ذهن الإنسان العربى، من خلال ربطه بمفهوم الوطنية ذات الأهمية الكبرى فى العمل المشترك بين جميع المواطنين من أجل النهضة الحضارية وتحقيق الاندماج الوطني وبناء الدولة المستقلة.(الكوارى، ٢٠٠١، ١٢١)

وقد تطور المفهوم الحديث للمواطنة مع الدولة الحديثة التى لها السيادة المطلقة داخل حدودها الجغرافية، وبرز من خلاله مفهوم المواطن للحد من استبداد الدولة، هذا المفهوم الذى يجعل للفرد حقوق أساسية يتمتع بها، وتتمثل فى: حقوق مدنية تتضمن تحقيق العدل والمساواة، وحقوق سياسية تتعلق بالمشاركة فى اتخاذ القرار السياسى، وحقوق جماعية تتعلق بالشئون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ وبالتالى تحددت أهمية المواطنة داخل إطار الدولة فى التخفيف من حدة الصراعات القائمة على الاختلاف فى العرق، والدين، والجنس، والنوع لتحقيق البعد الأهم وهو الانتماء الوطنى. (أبو عليوة، ٢٠١٧، ١١١)

ومع استقرار المفهوم وانتشاره، وجد أن تاريخ تجارب المواطنة يكشف بوضوح أنه ليس هناك تجربة واحدة كانت نتيجة تخطيط مسبق أو عقود مسبقة أو وعى سياسي أوحقوقى دعا إليها أو سعى إلى تحقيقها بالشكل الذى انتهت إليه، فالأثر الذى كانت تحدثه التجارب المختلفة هو ما أسهم فى ظهور المناخات الفكرية الباعثة للثورات الفكرية والسياسية فى الغرب الأوروبى، ثم امتد ليشمل كل دول العالم، لهذا لا يمكن أن نتحدث عن مواطنة واحدة، لتوصيف مختلف التجارب الإنسانية. (الشيبانى، ٢٠١٥، ٣٨)

وبالرغم من أن مفهوم المواطنة يتضمن تفسيرات مختلفة تتعلق بالمواقع الاجتماعية والسياسية، وقضايا فلسفية أساسية تتعلق بالمحاولات الهادفة إلى التعليم من أجل المواطنة، فإن

مفهوم المواطنة المعاصر قد تطور حتى أصبح يمثل تلك العلاقة بين الفرد والدولة وفق القانون الذي يحكم تلك الدولة وبما يحتويه من حقوق وواجبات، فممارسة المواطنة تتطلب توفير حد أدنى من هذه الحقوق، والتزام مقابل بالواجبات. (العمارى، ٢٠١٤، ٣٤-٣٥)

وقد استمر تطور مفهوم المواطنة كنتيجة للتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في معظم دول العالم، إضافة إلى تأثير العولمة وثورة الاتصالات، لتصبح الديمقراطية وتحقيق مبادئ المساواة والتعددية السياسية وحقوق الإنسان ركائز المواطنة المعاصرة والدولة الحديثة. وبالتالي بات مفهوم المواطنة هو المحرك الرئيس لتكريس حقوق الإنسان وتحويلها من مجرد نصوص قانونية إلى منظومة قيمية، وهو السلوكيات الإيجابية التى يمارسها المواطن مستنداً بذلك إلى حبه وإيمانه بالوطن ومصلحته والتضحية دفاعًا عنه، بحيث يمارس الأفراد هذه السلوكيات بشكل تلقائى في ظل دينامية المواطنة باعتبارها آلية فاعلة لتكريس عالمية الحقوق الإنسانية وترجمة قيم ومبادئ المجتمع وتحويلها إلى واقع معاش.(العمارى، ٢٠١٤، ٣٦-٣٧)

وفى القرن الحادى والعشرين شهد مفهوم المواطنة تطوراً مال به نحو العالمية، نتيجة للمتغيرات العالمية التى يمر بها المجتمع العالمى، وبروز التحولات فى الكثير من المفاهيم، والتى انعكست على مفهوم المواطنة ومبادئه ومضامينه، بعد أن أضيفت أبعاداً عالمية جديدة إلى أبعاد المفهوم التقليدى ومن أهمها: الاعتراف بوجود ثقافات مختلفة، وديانات مختلفة، وأيديولوجيات مختلفة يجب فهمه،ا واحترام حق الآخر المختلف، بالإضافة إلى فهم اقتصاديات العالم، والاهتمام بالشئون الدولية والقضايا العالمية، والمشاركة فى تشجيع السلام العالمى، وإدارة الصراعات، واستند هذا المفهوم العالمى إلى عنصرين أساسيين هما: عالمية التحديات فى طبيعتها، وحدة التنوع والاختلاف الثقافى والدينى والعرقى والأيديولوجى. (أبو حشيش ٢٠١٤، ٢٥٨)

وقد أسفرت الاجتهادات الغربية المعاصرة لتحليل طرفى هذه المعادلة عن صياغة عناصر جديدة للمواطنة وتأسيس مصطلح جديد فى الخطاب المعاصر هو مفهوم المواطنة العالميةGlobal citizenship متعددة الأبعاد الشخصية والاجتماعية والمكانية والزمانية. (الصائغ، ٢٠٠٩، ٣٢٤) حيث أفرز النظام العالمى الجديد إلى جانب الإفرازات الاقتصادية والاجتماعية إفرازات معرفية من ضمنها مفاهيم جديدة فرضت نفسها، ومفاهيم قديمة أعيد بلورتها كمفهوم المواطنة .(دروش، ٢٠١٤، ٤٧) والذى تجاوز القومية إلى العالمية.

ويأتى هذا انطلاقاً من فكرة أن المواطنة دائمًا فكرة ديناميكية قابلة للتغيير والنضال الدائم بسبب محتواها الدقيق، ومعناه أن التحولات التكنولوجية والاقتصادية والسياسية الحديثة

دائماً ما تتمخض عن تطوير مفاهيم بديلة للمواطنة تتجاوز الفهم الكلاسيكي للمواطنة المتعلقة بالدول القومية إلى مستوى عابر للحدود. (Commaerts & Van Audenhove, 2005, 147-148) بعد أن صاحب مفهوم المواطنة تحولات عميقة فى ضوء التغيرات السياسية والمعرفية التى فرضتها التحولات الجارية فى عالمنا المعاصر، وأصبح للمفهوم بُعد عولمى، واقتصادى، واجتماعى، وثقافى، وسيكولوجى، وتربوى، واتصالى وتعددت نعوته مثل المواطنة العالمية، المتعولمة، الكوكبية، الشبكية، ...إلخ (خذارية، ٢٠١٧، ٢٢٦)

ونبت المفهوم انطلاقاً من أن المشكلات والتحديات المختلفة فى العصر الحالى أصبح من الصعب على أى دولة أو بلد مواجهتها بمفردها، خصوصاً أن العالم كله أصبح يواجه مشكلات متقاربة ومتشابهه إلى حد كبير، وهو ما يفرض تجاوز مفهوم المواطنة من حدود الدولة القومية إلى المواطنة الكوكبية أوالعالمية يكون أساسها التعاطف الإنسانى بين الجماعات، وتقدير التنوع والعدالة الاجتماعية، والمسئولية، والعمل على السلام العالمى، وصاحب هذا التغير فعاليات عالمية مثل عقد مؤتمرات، ومعاهدات، واتفاقيات عالمية لمناقشة مواجهة القضايا العالمية من خلال التعاون بين الدول المختلفة فى مجالات عدة أبرزها حقوق الإنسان.(أبو عليوة، ٢٠١٧، ١٠٨)

وقد جاءت الحاجة – كما يرى المروجون للمفهوم الجديد – نتيجة استقرار العولمة، وحتمية التفاعل معها، وتداخل المشكلات السياسية والاقتصادية وقضايا البيئة والتقنية وتدويل الإرهاب بين دول العالم وشعوبه، بشكل أوجد حاجة ماسة للنظر لمفهوم المواطنة بشمولية وأفق عالمية، إضافة إلى بروز هيمنة القانون الدولى وضرورة التعامل معه والاتفاقيات الدولية والملزمة للدول وسكانها. (الرباح، ٢٠١٧، ٤٦)

وقد تبلور مفهوم المواطنة العالمية ليشير إلى الديمقراطية والتعددية والالتزام الجماعى وقبول الاختلافات الثقافية ومعالجة المشكلات ضمن منظور عالمى يهدف إلى خدمة الإنسانية كافة وليس الأفراد فحسب، مستندين إلى التربية كوسيلة لتدعيم قيم المواطنة العالمية كقيم السلام العالمى والحوار مع الآخر والتسامح معه .(الجيزاوى، ٢٠١٧، ١٥٧)

وبرز المفهوم ليؤسس لنمط جديد من المواطنة لا يتعلق بأمة أو دولة أو وحدات جغرافية وسياسية مماثلة، بل يتعلق بالمشاركة في مجتمع عالمي، والتضامن حول وحدة الهوية البشرية، وحول الالتزام بصلاحية حقوق الإنسان على المستوى العالمي، ويؤسس على مقترح

لبعض الحقوق والواجبات على المستوى العالمى انطلاقاً من أن الإنسانية نفسها تشكل روابط أقوى من روابط الأمة. (Wintersteiner & et al, 2015, 16)

وقد استندت دعاوى الترويج للموطنة العالمية إلى مبرر أن المشاكل العالمية لا يمكن حلها عالمياً، وهو ما يتطلب تحفيز الأفراد والمجتمعات كى يحتضنوا مفهوم المواطنة العالمية وتحمل جميع ما يترتب عليه من مسئوليات نحو هذا الكوكب، ويتوجهوا نحو الاهتمام بقضايا يتجمع حولها من يعيشون عليه. (الأحمدى،٢٠١٢، ٢٠٢)

وقد ساعدت زيادة سطوة الآلة الإعلامية العالمية الممثلة لمختلف المصالح الدولية والاتجاهات الفكرية والسياسية على عقول الأفراد من خلال شبكات التواصل الاجتماعى ووسائل الإعلام الجديدة التى روجت بقوة للمفاهيم الجديدة كالمواطنة عابرة الحدود أو المواطنة العالمية التى يتشارك فيها كل مواطنى العالم وهى مواطنة تتطلب عضوية جماعات أو منظمات ليست محلية أو إقليمية فقط بل وعالمية أيضاً. (نصار(أ)، ٢٠١٦، ٨٥)

وعليه برز الحوار والنقاش حول الصعود المفاهيمى لكونية أوعالمية المواطنة وما ولده من مفاهيم أخرى مرتبطة بها مثل المواطن العالمى، والمجتمع المدنى العالمى، والتربية العالمية تعبيراً عن رفض المجتمعات البشرية ممثلة بفلاسفتها ومفكريها ومثقفيها لمفهوم الصراع الفكرى والهوياتى فيما بينها، وعنيت مؤسسات معنية برفع شعار "حوار الحضارات" الذى اتخذ أشكالاً متعددة، منها حوار الأديان، أو حوار الحضارات، أو حوار الثقافات، أو تتخذ منحى الحوار الفكرى من وجهات نظر فلسفية أو استشراف المستقبل نحو مصير البشرية.(البرهومى، ٢٠١٥، ٢٣)

وعلى الرغم مما قد يبدو إسهاماً من العولمة فى تكريس المواطنة العالمية كونها تدفع بمزيد من الحرية فى الفعل والتنقل والتعبير، وكونها تنحو نحو تشييد الانفتاح والديمقراطيه وحقوق الإنسان، فإن عوامل التضاد بين العولمة والمواطنة العالمية، هى أقرب إلى الشيوع منها إلى عوامل الالتقاء والتكامل.(مهناوى، ٢٠٠٨، ٧٢)

ومع الصعود الواضح لمفهوم المواطنة العالمية كأحد المفاهيم الرحالة ذات البعد العالمى، فإنه أصبح يخضع لمجموعة متنوعة من التفسيرات النابعة من سياقات مختلفة، كما أصبح يواجه عدداً من الأفكار المتداخلة، الذى يترتب عليها ازدياد اللبس والغموض خاصة مع اختلاف تفسيرات المفهوم داخل وعبر السياقات الاجتماعية المتنوعة، ولهذا فإن الارتباك الناتج عن المفهوم ليس ناجمًا عن مجرد مشكلة فى علم الدلالة، إنما المشكلة فيما يواجهه مفهوم العالمية ويستدعيه من أفكار قابلة للتكيف مع البيئات المختلفة. (Oxley& Morris, 2013, 302)

وتأسيساً على ما سبق، نجد أن مفهوم المواطنة العالمية فى الفكر الغربى هو مفهوم يحيد عن اعتباراته الأولى القائمة على علاقة مواطن بوطن، وهو ظاهرياً يحمل قيماً إنسانية لا خلاف عليها ولكننا يجب أن نحذر فهى بالمقابل وبأساليب مباشرة أو غير مباشرة قد تكون هادمة لقيم أخرى تتعلق بالهوية والخصوصية الوطنية خاصة لدى النشء والشباب فهم أكثر انبهاراً بالفكر الغربى وأكثر دافعية للانفتاح الثقافى المصاحب للعولمة، وأكثر تفاعلية مع الخطاب الغربى، وهنا تكون الإشكالية ليست فى الغزو الثقافى، وإنما فى قبول هذا الغزو، فأبرز ما يبديه مفهوم المواطنة العالمية حالياً هى فى معظمها مجرد دلالات ظاهرية للمفهوم يجب ألا نأمن لها أو نؤمن بها دون التأكد من اتفاقها مع الدلالات الكامنة التى يمكن استخراجه بعد تفكيك عناصر الموضوع وتحليله وهو لُب ما يلى من عمليات .

٣- تفكيك الحالة التركيبية وتحليل السياق الدلالى لمفهوم المواطنة العالمية:

تتألف بنية أي مفهوم من مجموعة من العناصر المكونة له، وهذه العناصر لا تأتي بدرجة واحدة من حيث البناء والأهمية، بل هناك عناصر أساسية وعناصر أخرى مكملة لها وقد تشتق منها أحيانًا؛ والعناصر الأساسية تتمتع بأسبقية منطقية في بنية المفهوم، إذ إنها لا تشتق من غيرها وإنما يمكن لغيرها أن يشتق منها.(عبد الحق ، ٢٠٠٨، ٤٨)

وضمن الحالة المفاهيمية تأتى عملية التصنيف لعالم المفاهيم مابين البسيطة والمركبة، وقد ينصرف البعض إلى أن المفهوم يعد مركباً حين يتركب من أكثر من كلمة، فى حين لو تكون المفهوم من كلمة واحدة يعد بسيطاً، ورغم وجاهة هذا المعيار فى بعض العلوم الطبيعية، إلا أنه قد يختلف فى العلوم التى تتناول ظواهر مركبة مثل السياسة والاجتماع والتربية، فقد يشار إلى المفهوم بكلمة واحدة إلا أنه قد يكون مفهوماً شديد التركيب والتعقيد فى داخله.(عبد الفتاح، ٢٠٠٧، ٢٨)

وعن مفهوم المواطنة العالمية Global Citizenship فهو فى مفرداته يتكون من عنصرين شديدى التعقيد والتركيب، وكل منهما يمثل مفهوماً شاملاً ترتبط عناصره بدلالات مركبة، والموصوف والوصف كلاهما يعانين حالة من التداخل والتشابك، وعليه تأتى أهمية إبراز دلالات كل مفردة منهما على حدا، لذا تقتضى مسألة الضبط المفاهيمى لمفهوم المواطنة العالمية التقصى اللغوى لمعنى (المواطنة Citizenship)، و(العالمية Global) فى اللغة ومدلولاتهما الاصطلاحية من جهة أخرى بعد تفكيكهما على النحو التالى:

أ) مفهوم المواطنـــة Citizenship :

المواطنة كلفظة، وكمفهوم، وكاصطلاح معرفى مفتاحى فى الفكر الاجتماعى والسياسى والتربوى نشأ ونما فى رحم الثقافة الغربية، وولد مع ميلاد الدولة الحديثة.(خذارية، ٢٠١٧، ٢٢٦). حيث يعود أصل لفظ المواطنة ومدلولها إلى الكلمة اللاتينية القديمة polis ومعناها مجتمع "المدينة"، ويعود مدلولها إلى اليونان القديمة باعتبارها بناءً حقوقياً ومشاركة للفرد فى شئون المدينة. (الصائغ،٢٠٠٩، ٣٠٧).

وكما ورد بالمعجم الفلسفى فإن الكلمة أو اللفظ من الأصل Cite وتعنى المدينة باعتبارها بناء حقوقى، كما تستعمل كلمة المواطنة كترجمة للكلمة الفرنسية Citoyen والمشتقة من كلمة Cité ومن الأصل الإنجليزى citizenship والمشتق من كلمة City المدينة، وواطن القوم أى: عاش معهم فى وطن واحد ومنه المواطن وهو: الذى يتمتع بالحقوق التى يتمتع بها أبناء دولته أو مدينته. (صليبا، ١٩٨٢، ٤٣٩)

والمواطنة لغةً مأخوذة من "الوطن" وهو المنزل الذي نقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله ويقال وطن بالمكان وأوطن به أي: أقام، وأوطنه اتخذه وطناً.(ابن منظور،١٤١٤هـ،٤٥١) والمواطنة مصدر الفعل واطن" بمعنى شارك فى المكان إقامة أومولداً، وأوطن إيطاناً بالمكان أى أقام به، واستوطن المكان ،أقام به، والوطن هو: منزل إقامة الانسان ولد فيه، أو لم يولد. (المنجد فى اللغة والإعلام ، ٢٠٠٨، ٩٠٦)

ويذهب معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة إلى أن لفظة المواطنة فى اللغة العربية يرجع إلى الفعل "واطن" لا من الفعل "وطّن" كما هو شائع، إذ أن واطن تعنى وافق، فتقول واطنت فلاناً أى وافقت مراده، وهو ما سار عليه أهل اللغة فى بناء دلالة مقاربة للمفهوم المعاصر، وذلك من خلال ربط الموافقة بالمسايرة والمعايشة والالتزام، فنجد لفظ واطن فلان فلاناً أي: عاش معه فى وطن واحد.(العدنانى، ١٩٨٩، ٧٢٥)

والوطن بالمعنى العام – كما ورد بالمعجم الفلسفى– هو: منزل الإقامة، والوطن الأصلى هو المكان الذى نشأ فيه، والوطن بالمعنى الخاص هو: البيئة الروحية التى تتجه إليها عواطف الانسان القومية. (صليبا، ١٩٨٢، ٥٨٠)

أما المواطنة فى الاصطلاح، هى صفة المواطن والتى تحدد حقوقه وواجباته الوطنية، ويعرف الفرد حقوقه ويؤدى واجباته، وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لبلاده فى أوقات السلم والحرب، والتعاون مع المواطنين فى تحقيق الأهداف القومية. (بدوى، ١٩٩٣، ٦٠) كما أن

المواطن citizen عضو فى دولة ما، له فيها ما لأى شخص آخر من الحقوق والامتيازات، وعليه ما على أى شخص آخر من الواجبات التى يفرضها الدستور، ويجب التفرقة بين المواطن citizen، والرعية subject، والتابع ressortissant، فالمواطن هو الذى يتمتع بكامل الحقوق السياسية والمدنية فى الدولة التى ينتمى إليها، أما الرعية فهو مواطن ناقص الحقوق، والتابع يدل على المواطن التابع لدولة تخضع لنظام الحماية أو الوصاية أو الانتداب. (بدوى، ١٩٩٣، ٦٠)

وفقاً لدائرة المعارف البريطانية تعرف المواطنة بأنها: علاقة قائمة بين فرد ودولة يكون مديناً لها بالولاء وفى المقابل تقدم له الحماية، وتعنى أن يتمتع المواطنون داخل الدولة بالحقوق السياسية الكاملة، ويلتزمون بالواجبات أوالمسئوليات التى يحددها قانون تلك الدولة. (Encyclopedia Britannica, 1992, Britannica.com) ، كما تعرفها موسوعة الكتاب الدولى بأنها العضوية الكاملة لفرد فى دولة أو بعض تنظيمات الحكم، مع التأكيد على تساوى المواطنين فى الحقوق مثل حق التصويت وتولى المناصب، وعليهم واجبات كدفع المستحقات من الضرائب، والدفاع عن الوطن.(The world book encyclopedia, 1996 , 15)

والمواطنة من منظور الفكر السياسى هى: صفة المواطن الذى يتمتع بالحقوق كحق الاقتراع، ويلتزم بالواجبات التى يفرضها عليه انتسابه إلى وطن، وأهمها واجب الخدمة العسكرية، ودفع الضرائب، وذلك باعتباره عضواً فى مجتمع سياسى الذى هو المدينة أو الدولة. (الكيالى؛ وآخرون، ١٩٩٣، ٣٧٣).

ومن منظور علم الاجتماع تعد المواطنة مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين شخص طبيعي وبين مجتمع سياسي أوما يعرف بالدولة، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني مهمة الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الشخص والدولة عن طريق القانون كما حددها علماء العقد الاجتماعي هوبز، وجون لوك، وجان جاك روسو. وبهذا المعنى فإنها تعتبر انتماء الإنسان إلى الدولة التي ولد بها أو هاجر إليها، وخضوعه للقوانين الصادرة عنها، وتمتعه بشكل متساوٍ مع بقية المواطنين بالحقوق، والتزامه بأداء الواجبات، وهي بذلك تمثل العلاقة بين الفرد والدولة كما يحددها قانون تلك الدولة. (العمارى ، ٢٠١٤، ٣٤).

ومن منظور سيكولوجى يشير مفهوم المواطنة إلى الشعور بالانتماء والولاء للوطن الذى يعتبر مصدر إشباع الحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار. حيث تعرفه الموسوعة العربية العالمية بأنه اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن، وينطوى تحت مفهومها

حقوقاً للمواطنين وواجبات معينة يلتزمون بها، تختلف تلك الحقوق والواجبات من دولة إلى أخرى. (الموسوعة العربية العالمية، ١٩٩٩، ٣٢٠).

ومن منظور حقوقى وقانونى ينظر إلى المواطنة على أنها نسق من الحقوق المضمونة دستورياً؛ بمعنى أنها علاقة قانونية بين المواطن والدولة تقوم على مجموعة من الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى ينبغى للدولة أن تضمنها للمواطنين جميعاً على قدم المساواة، ويقابل ذلك واجبات على المواطنين الوفاء بها .(الطراف، ٢٠١١، ١٣)

وبالتالى يرتبط مفهوم المواطنة بالوطن من خلال روابط أهمها الانتماء والهوية، حيث يحمل مفهوم المواطنة بداخله المواطن وهو المعنى الذى يضاف للإنسان حين يرتبط بالمجتمع، وهو الانسان مضافاً إليه مدلول من دلالات الوطن. (قدور، ٢٠١٠، ٢٠٥)

وكما يبدو جلياً أن المواطنة بشكلها الكلاسيكى المتأصل تشير لفظًا واصطلاحًا إلى المواطن الذى يرتبط بالوطن والذى يتمتع بالحقوق التى يتمتع بها أبناء مدينته أو دولته، فى حين تتجاوز المواطنة العالمية ذلك، وتشير إلى فكرة المدينة العالمية، وترى أن المواطن الذى يجد فى نفسه كل المقومات التى تمكنه من أن يحيا الخير والسلام فى المجتمع العالمى هو مواطن عالمى، وبالتالى يجب ألا يعيش الناس منعزلين بعضهم عن البعض الآخر تفصل بينهم الحدود والحواجز المصطنعة ويخضع كل منهم للقانون الخاص بدولته، بل يجب أن يعتبر كل مواطن هو جزء من وطن كبير هو المدينة العالمية. (المحجوب، ٢٠١٥، ٣٣)

وتأسيساً على ما سبق، فإن مفهوم المواطنة فى الأساس وبمختلف المنظورات الفكرية يشير إلى عضوية فرد فى بيئة سياسية واجتماعية وثقافية وتربوية قائمة ضمن الحدود الجغرافية والسياسية للدولة، وينطوى على رابط وجدانى قوى هو الانتماء، كما ينطوى مفهوم المواطنة على فكرة التكليفات الملزمة لطرفين بحكم القانون هما المواطن والدولة، وبالتالى هو مفهوم خاضع للعديد من التفسيرات داخل إطار الدولة القومية، وعليه تصبح محاولات الانتقال بالمفهوم لمستوى أكبر عابر للحدود القومية، وصولاً إلى مستوى عالمى هى مسألة تحتاج إلى وقفة استفهامية عند مفهوم العالمية لبيان جوهره، وتأثيرات ربطه بمفهوم المواطنة؛ لإبراز نقاط التناقض وعناصر التنافر فى المفهوم الجديد.

ب) مفهوم العالميـــة Global:

يرجع مفهوم العالمية- فى الأصل- إلى مصطلح الكوزموبوليتية cosmopolitanism ومنبعه اليونانية القديمة ويعنى: (الكون أو العالم) ويتضمن أفكارًا عالمية حول (الفرد، والمجتمع)، وتعتبر الكوزموبوليتية شكل من أشكال الإمبراطورية العالمية الجديدة والتى تؤسس

فكرها على أن جميع البشر يتشاركون نفس القيم الأساسية. (Oxley& Morris, 2013, 305-306) وتنطلق الكوزموبوليتية من فكرة المواطن العالمى فى العالم القديم، والتى انتشرت على نطاق واسع خلال عصر التنوير الأوروبى فى القرن الثامن عشر، وكان للفيلسوف الألمانى إيمانويل كانت Immanuel Kant الفضل فى تشكيل وشيوع تلك الفكرة. (Osler & Starkey, 2005, 20) وقد تشكلت فكرة الكونية/ العالمية عند "كانت" من ثلاثة مبادىء أساسية هى: (بالابانوڤا، ٢٠١٧، ٨٣)

- الأفراد يمثلون وحدة، ويمكن للقدرات البشرية أن تكون متطورة بشكل كامل فى حالة من العدالة الدولية.
- تحقيق العدالة الشاملة تتطلب وجود مجتمع مدنى عالمى قائم على الإنسانية وليس الجنسية أو الولاء المحلى.
- الحق العالمى يدور حول مبادى معيارية أساسية اكتتبت ضمن دستور عالمى .

وفى أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين ضعف التوجه الكوزموبوليتي مع تصاعد قوة الحركات القومية فى أوروبا بسبب الصراعات والحروب العالمية، ومع ذلك تزايد بروزه مع تزايد الطرح العالمى حول المفاهيم الجديدة للمواطنة. (Wintersteiner & et al, 2015, 17) حتى أن مفهوم المواطنة الكوزموبوليتية Cosmopolitan citizenship أصبح يستخدم فى بعض الأحيان بشكل مترادف مع مفهوم المواطنة العالمية global citizenship، وفي بعض الأحيان الأخرى يتم النظر لكل منهما على أنه مفهوم مستقل عن الآخر، غير أن جوهر الحال في المواطنة العالمية هو المكون الأساسي للمدخل الكوزموبوليتنى cosmopolitan approach . (Cabrera, 2010, 14)

حيث ترتبط الكوزموبوليتية بالحكم العالمى والدستورية العالمية الموجودة اليوم من خلال المنظمات الدولية، والمؤسسات عابرة الحدود، والمعاهدات والاتفاقيات الدولية الملزمة، وكذلك النظم العالمية اللامركزية التى يتم اتخاذ القرارات فيها على مستويات مختلفة محلية وإقليمية وعالمية، كما ترتبط بالحوكمة العالمية التى تهدف إلى مراقبة حقوق الإنسان بالدول القومية من خلال منظمات دولية ومؤسسات علمية، وحركات مجتمع مدنى، وأشخاص، وشركات،...إلخ. (Dobson, 2006 , 156-184) (Dobson, 2005, 259-273)

وعلى كل حال فقد شهد مفهوم العالمية Global عبر مراحلة التطورية مضامين مختلفة، فقد حصرته الثقافات فى مجال المسئولية الأخلاقية، والمساواة، والحرية وغيرها من قيم توسم

بالعالمية، ثم تبع ذلك مضامين أرقى بدعوتها لمجتمع لا طبقى على صعيد عالمى، غير أن بعض المفكرين قد نبهوا إلى أن هذا التمرحل لا يمثل تجسيداً لفكرة التقدم المجردة؛ لأن مفهوم العالمية لابد أن يرتبط بمفاهيم أخرى تحكم معاً تطور المجتمع. (ناطورية، ٢٠٠١، ١٣٥)

وهو بهذا المعنى يختلف اختلافاً كلياً عن مفهوم الأممية أو القومية المشتقة من الكلمة الإنجليزية nation والتى تتسم فى العادة بخصائص محددة تميزها عن غيرها من الأمم الأخرى، ولهذا تختلف القومية كمفهوم اجتماعى أو سياسى من شعب إلى أخر، كما تتبدل وتتتغير عبر الزمن بفعل عوامل تاريخية مختلفة دخلت فى تشكيل كل أمة، إضافة إلى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى أسهمت فى نموها من خلال روابط مشتركة تعبر عن الولاء للجماعة، لذا فإن الأممية أو القومية مبدأ روحى قبل أن تكون مذهب سياسى. (العالم، ٢٠١٦، ٩٣-٩٤)

فى حين يأتى مفهوم العالمية كظاهرة تعنى: انتقال الظواهر الاجتماعية والسياسية من المستوى القومى والوطنى إلى المستوى العالمي، وهى ظاهرة موضوعية يتحدد مدى انتشارها بمستوى تطور القوى المنتجة ووسائل الاتصال، وهى تطور سياقى لظاهرة القومية والوطنية.(عريقات؛ آخرون ، ٢٠١١ ، ٣٢٢)

ومن منظور ثقافى يرى البعض أن العالمية تعنى: الاحتكاك بالثقافات العالمية مع الاحتفاظ بخصيوصية الأمة وفكرها وثقافتها، كما أن عالمية حقوق الإنسان تعنى الالتزام بالمفاهيم التى أقرها المجتمع الدولى من خلال الإعلان العالمى لحقوق الإنسان والاتفاقيات والعهود الدولية، بمعنى أن اللفظ يعبر عن تغيير من داخل المجتمع يدفعه طموح للارتقاء بالخصوصية إلى مستوى عالمى. (عنانى، ٢٠٠٨، ٧١)

ومن منظور أيديولوجى ينظر البعض إلى مفهوم العالمية "نظرة ريبة وشك" ، حيث الاعتقاد أن العالمية ليست إلا مفهوماً جديدًا بمضمون قديم من حيث أنه دعوة إلى التخلص من "الهوية" والارتماء فى جوف الإمبريالية وغير ذلك من مفاهيم أيديولوجية يزخر بها الخطاب السياسى العربى المعاصر، فى حين يرى آخرون أن مفهوم العالمية إنما يعبر عن الأيديولوجيا والفكر والثقافة الإنسانية المشتركة بغض النظر عن أصل ومنشأ هذه الثقافة سواء كانت غربية أم عربية أم غير ذلك، المهم فى هذه الثقافة "العالمية" أن تشكل إرثاً إنسانياً مشتركاً. (تركى، ٢٠٠٠)

كما يتخوف البعض من صفة العالمية، إذ يرون أنها تتساوى بصفة الغربية لدى الغربيين، فالأدب العالمى يقابل لديهم الأدب القومى الأوروبى، والقيم العالمية تعبر عن القيم الغربية، وليس من الإنصاف – كما يرى شكرى عياد– أن نتوقع من الغربيين أكثر من ذلك فى ضوء التجارب السابقة، فمفهوم "العالمية" مفهوم حديث مثل "الدولية، أو "الأممية" وهى مفاهيم تنصرف بالنواحى السياسية، إلا مفهوم العالمية بالأخص ينصرف نحو الجوانب الحضارية والثقافية، وبما أن للعالمية معايير فلا يمكن لأحد أن يدعى أن هذه المعايير يمكن أن تجمع كل ما فى طاقة البشرية والإنسانية.(عياد، ١٩٨٩،١١)

وهذا الأمر فى الحقيقة له وجاهته، حيت تمثل المفاهيم ذات المعاييرالدولية أوالعالمية أخطر المفاهيم التى قد تجابه مجتمعاتنا العربية والإسلامية؛ لما قد تمثله من حرباً واضحة على خصوصية ثقافة الأخر الذى لم يشارك بحكم ضعفه وتبعيته وتخلفه فى تشكيل هذه المفاهيم وصياغة هذه المصطلحات، خاصة وقد وضع تلك المعايير الحضارة الغربية المتفوقة التى ربما بوضعها لتلك المعايير تريد إزالة الخصوصيات الحضارية للآخر، وتريد أن تجعل من هذا الآخر مستهلكاً مفاهيمياً كما هو مستهلكاً لمنتوجها المادى، لأنه باستهلاك المفاهيم تضمن إطالة الاستهلاك المادى. (تركى، ٢٠١٠، ١٤٨)

لهذا يرى البعض أن العالمية ومحاولة إضفاء العمومية على مفهوم المواطنة يخرجه عن سياقه التاريخى، والاجتماعى، والثقافى، وإطاره الزمانى والمكانى؛ وبما يشكل تجاهل للعناصر التاريخية المحركة لعجلة التاريخ، وتجاهل الخصائص الثقافية والاجتماعية للمجتمعات. ومن ثم هناك تغافل كبير من تلك الأطروحات الغربية لطبيعة المجتمعات الأخرى بمكوناتها الثقافية. (العامر، ٢٠٠٣، ٢٢٤) فمفهوم العالمية ينظر له هنا بوصفه مرادفاً للعام فى مقابل الخاص.

يتضح من خلال ما سبق، ومن خلال تحليل بنية المفهوم ، نجد اختلافًا واضحًا للدلالات الأساسية التى اكتسبها مفهوم المواطنة خلال مراحله التاريخية عند ارتباطه بالعالمية ، كما يتبين أن مفهوم المواطنة العالمية هو مصطلح يبدو للوهلة الأولى متناقض المفردات، فهو كمصطلح لفظي يتكون من كلمتين ذات سياقين مختلفين هما: المواطنة التى تشير إلى الوطن، والعالمية التى تشير إلى العالم، فالمواطنة كمفهوم عام ومتداول هو علاقة فرد بوطن ودلالته دوما تشير إلى الوطن الذى ينتمى إليه الفرد، وعليه توفير الحماية المطلوبة فى شكل حقوق

يقابلها الفرد بواجبات ملزمة. أما العالمية فتشير – حسب الكثير من التعريفات – إلى عالم بلا حدود ولا هوية محددة، وهو المفهوم الذي يتناقض بكل تأكيد مع مفهوم المواطنة فى إطارها المحلى أو القومى، ويشير دوماً إلى الانفتاح والتحرر من القيود الثقافية التى يفرضها المجتمع فى مقابل الالتزام بالقيم العالمية. كما يمكن أن نتوقع فى ضوء ذلك ما يلى:

- قصور ومحدودية باطن المفهوم على عكس اتساع مدلولات ظاهرة، فعلى الرغم من أن مفهوم المواطنة العالمية بلغ حداً مقبولاً من الإشباع النظرى إلا أنه أصبح معه متعدداً فى سياقاته الدلالية، ومتداخلاً فى مقاصده إلى الحد الذى جعله قاصراً ومحدودًا على عكس ماكان متوقعاً؛ وقد يرجع ذلك إلى مبالغة منظريه المؤيدين فى إعطاءه دلالات متنوعة يعجز المفهوم بتناقضاته الحالية عن استيعابها جميعاً.
- عدم وفاء المفهوم للمعانى التى يحملها، خاصة مع افتقاد المعايير والضمانات التى تدعم المساواة فى الحقوق والعوائد الاجتماعية.
- جوهر مفهوم المواطنة العالمية نسبى ومتناقض خاصة مع عدم وجود قوانين ومعايير وضوابط يتم بموجبها إعطاء تعريف موحد يروج للمساواة والعدالة النظرية والإجرائية لجميع الأجناس والطوائف والمجتمعات،وهوما قد يقلل من تباين مستويات تمثله وتطبيقه.

٣- شبكة المفاهيم المتولدة من مفهوم المواطنة العالمية: العلاقات المفاهيمية

طرح مفهوم المواطنة العالمية إشكالية تتعلق بتطور مفهوم المواطنة إلى شخصية مفهومية اعتبارية personage conceptual بمعنى توليده لمفاهيم فرعية، ومنتجة لحقوق وحريات تجاوز حدود المدينة أوالدولة مثل بروز مفهوم المواطن العالمية والمجتمع المدنى العالمى، وغيرها. (الإدريسى، ٢٠٠٤، ٦٧- ٧٣)

حيث تشيرعلامة ترسيخ المفهوم إلى إمكانية تشكيله لطبقة جديدة من المفاهيم التى تعمل كمبرر لمنطقه، وتبرهن قدرته على التجديد والإبداع ليس على مستوى الفكر والنظر فقط بل على مستوى إجرائية تلك المفاهيم على أرض الواقع بمعنى الممارسة والفعل.

وقد ارتبط مفهوم المواطنة العالمية نسقياً ببعض المفاهيم التى ألحقت بها صفة العالمية تمييزاً لها عن الشكل الذى صيغت به فى الماضى، والتى تعد الرابطة الاساسية المجمعة لها فى إطار فلسفى واحد؛ لتشكل مجتمعة منظومة كبرى تتكامل دلالياً وتستمد دلالاتها من بعضها البعض، ومن أهم هذه المفاهيم ما يلى:

أ) مفهوم تربية المواطنة العالميــة:Global Citizenship Education

أدى الاهتمام المتزايد بالمواطنة العالمية إلى إيلاء مزيد من الاهتمام بالبعد العالمى للتربية على المواطنة، انعكست آثاره على السياسات، والمناهج، وأساليب التدريس، والتعلم؛ لتعمل كقوة تحويلية داعمة للمفهوم وأبعاده المفاهيمية الأساسية المعرفية، والاجتماعية، والوجدانية، والسلوكية. (UNESCO, 2015, 14)

وتربية المواطنة العالمية أو التعليم من أجل المواطنة العالمية Education for Global Citizenship هو مفهوم تم تأسيسه في العالم الناطق بالإنجليزية، وليس في الغرب فقط أو "الشمال العالمي" ؛ وذلك بهدف الحصول على اعتراف متزايد بالمواطنة العالمية باعتباره مفهوم أوسع يشمل معتقدات وقيم عالمية مثل تعليم السلام، استيعاب الثقافات، والتربية العالمية، ولم يقدم هذا المفهوم باعتباره بديلاً عن أنماط التربية الأخرى، ولكنه قدم باعتباره نوعية خاصة بترسيخ مفهوم ومبادىء المواطنة العالمية، كما جاء كمفهوم شامل يغطي موضوعات عدة مثل: التعليم من أجل التسامح، وتقدير التنوع، وحل النزاعات وبحث أسباب الصراعات، ونشرالسلام والعمل الإنساني، والتقديم لمبادئ حقوق الإنسان والقانون الإنساني، وكذلك المسؤوليات المدنية، لأن هذه المواضيع تتعلق بالمستويات المحلية والوطنية والدولية. (Wintersteiner & et al, 2015, 9)

وفى ضوء ذلك، يرى راى وبيكر (Rae & Baker, 2011, 5) أن التربية العالمية الداعمة للمواطنة العالمية تعكس خمس محاور يجب التركيز عليها، وهى:

- الترابط العالمى من خلال فهم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعقدة.
- الهوية والتنوع الثقافى من خلال فهم الذات والانفتاح على ثقافة الآخرين.
- العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان من خلال فهم تأثير عدم المساواة وعدم التمييز، وأهمية احترام الحقوق والمسئوليات.
- بناء السلام وتسوية النزاعات من خلال فهم أهمية بناء العلاقات الإيجابية والثقة والطرق السلمية لمنع المشكلات أو حلها.
- مستقبل مستدام من خلال فهم الطرق التى يمكن من خلالها تلبية الاحتياجات الحالية دون تدنى لجودتها مع الحفاظ على قدرة الجيل المستقبلى على تلبية احتياجاته.

كما يرى راى؛ وبيكر (Rae & Baker, 2011, 5) أن مفهوم التربية للمواطنة العالمية يجب أن يراعى فيها البعد المكانى لمراعاة التداخل بين المحلى والعالمى، والتأثير على هوية

المجتمعات وترابطها وقدرتها على إحداث التغيير، والبعد الزمنى والصلات بين الماضى والحاضر والمستقبل فى عالم ديناميكى محاط بجملة من التغييرات التى قد تؤثر على الهوية والترابط بين الأفراد وقدرتهم على التعاطى مع القضايا العالمية، وأبعاد التربية العالمية ومبادئها التى تساعد الطلاب على تطوير القيم والمعارف والمهارات من أجل أن يصبحوا مواطنين عالميين.

هذا، ويواجه مفهوم التربية على المواطنة العالمية نفس حالة الجدل التى يعانى منها مفهوم المواطنة العالمية. ويرى البعض أن تجاوز إشكالات المفهوم يجب أن يكون من مزايا التربية على المواطنة العالمية العمل على إعادة التوازن بين ما هومحلي وما هو كوني للتخفيف من سيطرة قيم العولمة وما ترتب عنها من انهيار للحدود بين الثقافات المحلية والعالمية، وما صاحب ذلك من آثار سلبية أحيانا؛ وذلك للمحافظة على الهوية الوطنية والخصوصية الثقافية بشكل يضمن الانتماء الذاتي والحضاري للمواطن دون تصادم مع الأفكار الرائجة في محيطه .(العمارى، ٢٠١٤، ٣٥)

٢- مفهوم المواطن العالمى:Global citizen

مفهوم المواطن العالمى يشير إلى المواطن الذى يحمل جملة من السمات النابعة عن مزيج من المعرفة والمهارات والقيم التى تشكل النموذج المفاهيمى للمواطن العالمى، والتى يجب أن تمثل الغايات الكبرى والأهداف الرئيسة للتربية من أجل المواطنة العالمية، ويمكن توضيحها فى إطار هذا النموذج المفاهيمى لمفهوم المواطن العالمى وخصائصه على النحو التالى:
(Wintersteiner & et al, 2015,11)

- **المعرفة Knowledg**: المواطن العالمى قادر على الاعتراف بالقضايا والمشكلات العالمية ضمن إطار بيئته السياسية والاجتماعية، واستيعاب البعد الثقافى والاقتصادى والبيئى والسياسى، ومراعاة التنوع الوطنى والدينى والثقافة والاجتماعى، والهويات المشتركة التى تمثل جسور لعبورالفروق الفردية، والثقافية، والعرقية، والدينية.
- **القيم values**: يوظف المواطن العالمى معرفته بالقضايا العالمية المشتركة فى نقل القيم العالمية كالعدالة، والمساواة، والكرامة، واحترام حقوق الإنسان.
- **الكفاءات أوالجدارات competences**: المواطن العالمى لدية الكفاءات التى تسمح بإبداء وجهة نظره محلياً وعالمياً بشكل نقدى ومنظم وخلاق، واتخاذ وجهات نظر مختلفة تعبر عن فهم القضايا والمواقف من مختلف الأبعاد، ولديهم كفاءات اجتماعية مثل التعاطف

والتضامن، والقدرة على فض الصراعات، ومهارات التواصل والتفاعل الاجتماعى مع الأفراد من سياقات مختلفة (كالأصل، والدين، والثقافة، إلخ)، من أجل إيجاد حلول مشتركة للمشكلات العالمية.

وبالتالى فإن إعداد المواطن العالمى يرتبط بشكل كبير بانتمائه وانضمامه لمجموعة يدرك مبادئها ويلتزم بها، وهناك ارتباط بين الوعى العالمى والبيئة المعيارية Normative Environment وهى البيئة العالمية التى يتم إعداد الفرد من خلالها، وتغرس الأنماط الثقافية الجديدة لدى المواطن، وتقيم مدى تحققها فى الواقع الفعلى. (أبو عليوة، ٢٠١٧، ١٠٨)

وبناء على ذلك، وفى ضوء هذا المفهوم الجديد للمواطن، تقف إشكالية كبرى تمثل تحدياً أمام ترسيخ المفهوم الجديد للمواطن، ألا وهى تتعلق بالقدرة على الإجابة عن عدة تساؤلات هامة أبرزها: من سيضع تلك المبادىء والمعايير العالمية؟، وإلى أى حد ستتجاذب أو ستتنافر مع المعايير الوطنية ؟، وأين سيتشكل هذا الوعى العالمى، وبيد من؟، وكيف؟...إلخ، إن الاجابة عن هذه التساؤلات تتطلب أن تكون محددة تحديدًا واضحًا، وخلاف ذلك سيزيد من جدلية المفهوم ذاته بدلًا من حل الخلافات القائمة حوله.

٣- مفهوم المجتمع المدنى العالمى:Global Civil Society

يتصل مفهوم "المواطنة العالمية" بظاهرة بزوغ "المجتمع المدنى العالمى"، وفى هذا الشأن يربط كثيرون بين العولمة والمواطنة العالمية، وبين المجتمع المدنى العالمى كمفهوم يتم ربطه بخطاب العولمة وعالمية المواطنة.

وقد ارتبط تطور مفهوم المواطنة العالمية ارتباطًا ديناميكيًا بمفهوم المجتمع المدنى، فقد لعبت الجهات الفاعلة في المجتمع المدني دوراً هاماً في دعم المواطنة العالمية من خلال تنظيم نفسها على المستوى العابر للحدود، والتعامل مع القضايا التي تتجاوز حدود الدولة القومية لتعطى الشرعية الديمقراطية للجهات الفاعلة عبر الوطنية الأخرى مثل المنظمات الدولية أو الشركات، كما أنها تسمح للمواطنين العالميين بالتعامل مع مثل هذه القضايا "غير المحدودة"، ومحاولة إنشاء مجال عام عبر وطني لمناقشتها بشكل موسع. (Commaerts & Van Audenhove, 2005, 147-148)

ورغم وجود اختلافات بينية واضحة بين مفهومى المواطنة والمجتمع المدني، إلا أن المجال العام وظهور المجتمع المدني أمر حاسم في بناء وترسيخ مفاهيم المواطنة المحدودة

وغير المحدودة، بعد أن ارتبطا ارتباطًا وثيقًا ببعضهما البعض تاريخياً، حيث ينتج المجتمع المدني – كجزء من المجال العام– أفكار المواطنة ذاتها، ويعمل على تجسيدها، ومع ظهور المفاهيم غير المحدودة للمواطنة – التى تنتظر دورًا أكبر من دورها فى إطار التعريف الكلاسيكي للمواطنة القومية– برز مفهوم المجتمع المدنى العالمى، ويمكن تفسير ذلك جزئيًا بالصلة الواضحة بين أفكار المواطنة غير المحدودة وظهور مجتمعات حوار عالمية عابرة للحدود والتى طورتها مجموعة من المنظمات والحركات الاجتماعية. (Commaerts & Van Audenhove, 2005,150-151)

وبحكم التقارب بين الشعوب الذى أحدثته تكنولوجيا الاتصالات، والنشاطات المكثفة للمنظمات غير الحكومية، وكذا بفعل افرازات العولمة بدا واضحاً قيام حس عالمى إزاء قضايا عالمية، وبرز إلى السطح مفهوم المجتمع المدنى العالمى وبقوة فى سياق فلسفة ما بعد الحداثة، وكذا فى خطاب العولمة، ودعاوى المواطنة العالمية، ليشير إلى مجموعة العلاقات الاجتماعية التى لا تندمج فى سياسات الدولة الوطنية ولا تحدد من طرفها، وإنما تعنى مجموع العلاقات الاجتماعية العابرة للحدود والتى تحددها القيم العالمية. (العربى،٢٠١٠، ١٢٧)

فالمجتمع المدنى العالمى لم يعد مفهوم نظرى فقط، وإنما تعدى ذلك إلى كونه واقعاً معاشاً تنتشر مكوناته عبر شبكات مؤسسات عالمية مدنية تضم أعضاء من مختلف أنحاء العالم تؤكد قوته وامتداداته، وبالتالى لم يعد حبيس الدولة القومية، حيث بات يعنى بقضايا الديمقراطية والتعددية واحترام الإنسان على مستوى عالمى. وبالتالى تم النظر إليه باعتباره فاعلاً جديداً ومؤثراً من فواعل النظام العالمى باستطاعته إحداث تغييرات وتحولات جوهرية فى صلب الدول والمجتمعات. (العجيل، ٢٠١٥، ١٣٧).

غير أن نقل مفهوم المجتمع المدنى من الإطار المحلى إلى الإطار العالمى، وكما هو الحال فى مفهوم المواطنة العالمية، سيخلف إشكالاً معقدًا ذلك أن المجتمع المدنى يعبر عن وسيط أو حلقة وصل بين مؤسسات الدولة والمجتمع، وهى معادلة صعبة التحقيق على المستوى العالمى إلا إذا ما عتبرنا أن المؤسسات الدولية فى مجموعها تشكل نسقاً يفضى إلى ما يسمى بالحكومة العالمية. (العربى، ٢٠١٠، ١٣٢)

ومن خلال ما سبق، يلاحظ أن مفهوم المواطنة العالمية قد بدأ فعلياً فى تكوين شبكة مفاهيمية ترتبط نسقياً ببعض المفاهيم التى ألحقت بصفة العالمية التى أصبحت الناظم الأساسي فى صياغة تلك المفاهيم تمييزاً لها عن أشكال الصياغات القديمة التى صيغت بها فى

الماضى، والرابطة المجمعة لها فى إطار فلسفى واحد، لتشكل مجتمعة منظومة مفاهيمية كبرى تبدأ فى التكامل دلالياً، ورغم أن قدرة المفهوم على تشكيل وتوليد شبكة مفاهيمية هى من أبرز علامات ترسيخه إلا أن المفاهيم التى تتمخض عن مفهوم المواطنة العالمية لا تزال مثله تعانى الجدل، والغموض، وعدم الوضوح الذى بات يتسرب من مفهوم لآخر ليدلل وبقوة على غموض المفهوم العالمى للمواطنة.

٤-التحديات التى تواجه المفهوم العالمى للمواطنة: (أزمات بناء المفهوم)

رغم رواج الخطاب العالمى المعاصر حول عالمية المواطنة، إلا أن إقرار مفهوم المواطنة العالمية بجوهره وفلسفته الإنسانية التى يروج لها تواجهه عدداً من التحديات من أهمها ما يلى:

أ) تحدى العولمة وسيادة الدولة:

مع بزوغ عصر العولمة وما صاحبه من إحداث تحولات مفاهيمية لمفاهيم اعتقد الجميع أنها قد استقرت، بدأت الأزمة الحقيقية بين مفاهيم (الدولة/ والوطن) و(المجتمع /المواطنة)، خاصة وأن العولمة تقوم على فكرة العمل العالمى والترابط الشبكى بين الدول بحيث لا تعمل دولة خارج هذا الإطار، وهناك أكثر من نموذج فكرى أثر بوضوح فى تطبيق العولمة كالنموذج الرأسمالى العالمى الذى تفقد الدولة خلاله مركزها السياسي وتتراجع قوتها الوطنية أمام رأس المال لتتحول إلى الدولة الرخوة، ومع هذا يرى البعض أن فكرة المواطنة العالمية– فى ظل ذلك– يمكن تطبيقها مع توفير مقاربات خاصة وشاملة للمجالات الداعمة تشارك فيها دول العالم. (أبو عليوة، ٢٠١٧، ١١٣)

لكن حتى مع تجاوز ذلك تظل العولمة نفسها تحدياً قائماً أمام سيادة الدولة وبالتالى المواطنة. وفى هذا المعنى يقول ناصيف نصار وهو فيلسوف عربى معاصر عُرف بدعوته إلى استئناف النهضة العربية، والمضي نحو نهضة جديدة تضطلع فيها الفلسفة بدور هام يتعلق بخلخلة بعض المفاهيم المحورية فى الفكر العربى الحديث: "يخطىء من يعتقد أن العولمة قد تجاوزت مفهوم الأمة والقومية، وأن مرحلة جديدة من تاريخ البشرية يمكن وصفها بأنها ما بعد قومية قد بدأت، أننى أتناول المفاهيم والقضايا التى أرى من الضرورى تناولها من أجل شق طريق التفلسف المستقل فى الثقافة العربية ومرجعيتى الأول هى الكونية لأن الفلسفة كونية الموضوع والمرمى، إلا أننى ارتكازًا على نظرية الواقعية الجدلية فى تفسير الواقع الاجتماعى

والتاريخى، لا أجد مايسوغ الخلط بين وحدة البشر النوعية، ووحدتهم المجتمعية والتاريخية التى تزعم العولمة أنها دخلت بقوة فى أولى مراحلها". (نصار(ب)، ٢٠١٦، المقدمة)

وبالتالى، وفى ظل مرحلة الصراع هذه بين العولمة وسيادة الدولة ينشأ الصراع بين مواطنة عالمية وحقوق تبدو وهمية شكلية لا تلزم المؤسسات الدولية بأى معايير، وبين الحقوق الملموسة التى تتجسد فى قوانين ودساتير دولة، يظهرعلى إثره اتجاه شعبى يرفض المواطنة العالمية والحقوق الوهمية المرتبطة بها ويرفضون بقوة السطو على سيادة الدولة من خلال مثل هذا المفهوم.

ب) إشكالية الهوية وفرض أولويات الانتماء:

تجمع الأدبيات السياسية على أن مفهوم المواطنة بالأساس هو انتماء واعٍ لكيان الدولة، يصد عنه كل محاولة للاختراق أو التهديد، فالانتماء كيان تؤسسه المواطنة وهي على صلة وثيقة بمبدأ الديمقراطية، باعتبارها كما هو معلوم "حكم الشعب بالشعب"، لذا فالمواطنة لا تترسخ في سياق مجتمع ما كقيمة سوسيوثقافية موجهة للتفكير والوجدان المحدد لأولويات الانتماء الفردي والجماعي، ونماذج الفعل المؤسس والسلوك إلا إذا تحققت في هذا السياق أهم شروط ومستلزمات البناء المتزن لديمقراطية تشاركية سليمة وحقيقية لا تمثيلية ولا صورية. (خذارية، ٢٠١٧، ٢٢٥)

وحينما تشير فكرة المواطنة العالمية إلى حقوق وواجبات الأفراد باعتبارهم أعضاء فى الكيان العالمى، ولا ترتبط بوجودهم داخل كيان دولة معينة، تكون المشكلة هنا أن هوية الفرد تتجاوز الحدود السياسية والجغرافية وأن الحقوق والواجبات والمسئوليات تستمد من العضوية فى مجتمع عالمى أوسع، وبالتالى يمكن الفرد أن يتنازل عن جنسيته وهويته المحلية بسهولة أو يعتبرها فى المركز الثانى بعد عضوية المجتمع العالمى، خاصة إذا ما قدم له مغريات تسهل له حرية التنقل والهجرة مع بروز مفهوم المواطن العالمى. (أبو عليوة، ٢٠١٧، ١١٠) وهو ما توقعه بين اختيار محسوم لأولويات الانتماء الذى سيتحدد عادة بحجم تلك المغريات.

ج) تحدى التنوع الثقافى ومقتضياته:

يعتبر التنوع الثقافى من أهم القضايا التى تتصدى لها المواطنة حيث تقدم إطاراً قانونياً واجتماعياً يحدد للمواطنين على اختلافهم كيفية التعايش لتحقيق الانتماء الوطنى، والمواطنة الحقيقية والنشطة لا تتحقق إلا فى وجود التعددية الثقافية، وسيادة الحق، والقانون، والديمقراطية التى تعتبر سر ازدهار المواطنة. (أبو عليوة، ٢٠١٧، ١١٥)

لهذا يواجه مفهوم المواطنة العالمية تحدياً ليس بالسهل يتمثل فى إقرار التنوع الثقافى، فى حين ينطوى المفهوم – بالأساس– على فكرة التمحور الثقافى. وهنا يشير (البرهومى، ٢٠١٥،٢٠– ٢١) إلى أن إغفال العلاقة بين مستجدات الراهن البشرى وذاكرة الحضارة الإنسانية قد يورط فى حالات كثيرة فى المأزق ذاته الذى تردى فيه فريق من المستشرقين ورواد العولمة الثقافية، وإلا فما هى حدود القول فى زمن تجاوز نظرية التمحور الثقافى لتكون ثقافة بعينها هى منبع القيم الإنسانية، وعلى الثقافات الأخرى أن تصغى إليها لتتجاوز بربريتها الثقافية، فى حين يفترض أن تبنى العلاقة بين الثقافات على أساس تجانسى تواصلى فى سياق التنوع الثقافى ومقتضياته.

د) إشكالية التوفيق بين العام والخاص فى تركيبة المفهوم:

المواطنة الحقيقية لا تتعالى على حقائق التركيبة الثقافية والاجتماعية والسياسية ولا تمارس تزييفاً للواقع؛ وإنما تتعامل على مع هذا الواقع من منطلق حقائقه الثابتة، وتعمل على فتح المجال للحرية والانفتاح والتعددية فى الفضاء الوطنى. (قنديل، ٢٠٠٨، ٤١)

وبالتالى فإن فصل التشكل القيمى والثقافى الخاص عن صيرورة مفهوم المواطنة يفقد مكونات هذا المفهوم أبرز عناصره، وهو الثقافة المجتمعية الخاصة والقيم المفضلة فى السلوك والتعامل الاجتماعى ولاسيما بين الفرد والدولة، وهو مالا يمكن إغفاله خاصة وأن البحث فى جوهر المواطنة يكشف عن الأسس الفلسفية للمفهوم وهى: (زاهد ، ٢٠١٠، ١٥٣)

- **الأساس الأول:** الوجود الإنسانى المتقادم عن إقليم جغرافى محدد ابتداءً واستمراراً.
- **الأساس الثانى:** وجود علاقة فطرية بين الفرد وبين عناصر الإقليم (المجتمع، الدولة، النظام، الأرض) ترتكز على مبدأ الشراكة الملتزمة، والمؤثرة فى رسم الاتجاهات الوجدانية الإنسانية تجاه البلد، ونمط التفكير بالأمال والطموحات والمصالح التى تتطلع إليها أنظار الناس.
- **الأساس الثالث:** تحول هذه العلاقة من شعور وأمان إلى قواعد دستورية ثم قانونية، تحدد حجم الحقوق والالتزامات المتبادلة مثل حق المواطن بالحماية، والانتفاع بالثروات الوطنية مقابل واجب الولاء للوطن وخدمة عمليات تقدمه على أساس نهضوى تقدمى.
- **الأساس الرابع:** اندماج الخصوصيات العرقية والدينية والسياسية فى دائرة المجتمع الكلية والانطلاق من ثوابت المواطنة، وضبط متغيرات حركة الأقليات على أسس تلك الثوابت التى تشتمل على مصالح مستقبلية للجميع.

وفى ضوء هذه الأسس الفلسفية لمفهوم المواطنة الكلاسيكية، تقف إشكالية التوفيق بين العام (العالمى) والخاص (الوطنى) لتشكل تحديًا كبيرًا أمام مفهوم المواطنة العالمية والذى عليه أن يوفق فى الانتقال من الخاص إلى العام فى تركيبته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية دون المساس بجوهر مفهوم المواطنة الذى تأسس تاريخيًا ليقوى من روابط الفرد بوطنه لا أن يضعفها.

هـ) إشكالية الأبعاد الحقوقية والقانونية المشكلة للمفهوم:

مفهوم المواطنة له ثلاث أبعاد وتتمثل فى: بُعد قانونى، وفيه ينظر إلى المواطنة باعتبارها صفة قانونية تمنح الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية، من خلال الدستور والقانون، وبُعد الممارسة السياسية للمواطن كعضو نشط فى كافة الهياكل السياسية بالدولة، وبُعد وجدانى يتعلق بالانتماء القومى كعضو فاعل فى المجتمع، ورغم مثالية الأبعاد الثلاثة للمفهوم إلا أن مسألة المساواة العملية أمر غير مضمون لجميع المواطنين. (Eðvarðsson, 2012, 10)

بالنظر إلى مفهوم المواطنة العالمية يبقى التكامل بين الأبعاد الأساسية للمواطنة أمرغاية فى الصعوبة، وأقل هذه الصعوبات افتقاد إطار قانونى يحدد وضع المواطن العالمى فى ظل سيادة دولية كبرى تقدم الامتيازات المختلفة لمواطنى العالم فى العالم النموذجى أو المثالى الذى تنشده كل دولة فى ظل سيادتها. فالمواطنة العالمية تتطلب بشكل حتمى وجود هيكل سياسى جديد ومختلف عن المتعارف عليه داخل الدولة، هذا الهيكل أو النموذج يتطلب أولا: الاجابة عن تساؤلات تتعلق بمن الذى ينتمى إلى النظام السياسى؟، وكيف ينظر أعضاء النظام للسلطة؟ ، وكيفية ممارسة السلطة وأساليبها؟. (أبو عليوة، ٢٠١٧، ١١١)

وعليه، فإن هذا الأمر يشير إلى صعوبة بالغة تقف أمام تطبيق وتعميم هذا المفهوم الجديد للمواطنة خاصة مع احتياجه لقالب سياسى عالمى موحد وقوانين واحدة، وهو ما يتنافى مع طبيعة الحياة البشرية وحقيقة الفكر السياسى القائم على التنوع والاختلاف.

و) إشكالية تجاوز التنظير إلى ضمان المساواة فى الإجراء والممارسة الحقوقية:

من أبرز عوامل ترسيخ أى مفهوم هو قدرته على تجاوز نزعته المجردة، وإنزاله من مستوى التنظير إلى المستوى الإجرائى، وغير ذلك قد يمثل إشكالية كبرى فى طريق التأصيل. وبالتالى فإن مفهوم المواطنة العالمية يواجه إشكالية كبرى تتعلق بالقدرة على ضمان الالتزام بمعايير إجرائية تضمن تحقيق المساواة فى الممارسة الحقوقية والقانونية على كافة المستويات الدولية.

فعلى سبيل المثال مع مفهوم المواطنة العالمية يتبدى حق الهجرة كأحد الحقوق الرئيسة للمواطن العالمى، غير أن الحديث عنه فى الدول الغربية منشأ هذا المفهوم يقوى ويزداد عندما تكون تلك الحقوق متعلقة بالمصالح الإيديولوجية مثل هجرة اليهود والسوفيت، بينما يكون الحديث مزعجاً، ويحتاج إلى التصدى له عندما يتعلق بالهجرة الطبيعية والمنطقية التى تجرى بين شعوب العالم الثالث إلى الشمال بحثاً عن حياة أفضل.(درويش، ٢٠٠٩، ٢٢٠)

ز) تحدى الفهم المشترك للقيم الإنسانية العالمية:

يروج مفهوم المواطنة العالمية إلى ضرورة السعي نحو عالم أكثر جوهرية وشمولية وعالمية؛ وهو ما يتطلب إعادة تعريف البناء القيمى الحاكم لمفهوم المواطنة لتجنب الاختزال والغموض الذى قد يحيط بها؛ للوصول إلى إطار أخلاقى مشترك محكوم بمفهوم عالمى للقيم، انطلاقاً – كما يرى المروجون– من ضرورة الحاجة إلى أن تكون القيم والمعتقدات المحلية والعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية المؤثرة فيها مفهومة فى السياق العالمى حتى لا تعوق التجانس الثقافى من خلال توفير نظام القيمة الموحدة دون الوقوع فى فخ النسبية الأخلاقية. (widows, 2017, 77-80)

وقد حاول البعض وضع قائمة قيمية كدليل يمكن من خلاله بناء أو إيجاد أرضية مشتركة بين جميع الثقافات المختلفة على أساس أن جميع الأفراد فى جميع المجتمعات تتقاسم فهم مماثل للقيم والأهداف على الرغم من أنها قد لاتتفق دائما على أهميتها في كل حالة، وقد تم تعريف هذه القيم العالمية بأنها "أهداف مرغوبة عبر الحدود" والتي تكون بمثابة مبادئ توجيهية في حياة الأفراد، ومنها القوة، والانجاز، والمطابقة للمعايير الاجتماعية، العالمية، الخير، التوجيه الذاتى، الأمن، التقاليد. (Alkire, 2002, 170-172) (Eðvarðsson, 2012, 27- 28)

وعلى الرغم من أنها تبدو ساذجة، إلا أن هذه القائمة ذات أهمية من حيث أنها تظهر الوحدة الأساسية للفكر البشري في جميع أنحاء العالم. ولا يعنى ذلك أن جميع الثقافات تتشارك بالضرورة جميع هذه القيم، ولا أنها تقدر بنفس الاهمية، ولكن هذا يعنى أن قيم أي شخص أو ثقافة يمكن أن يفهمها شخص من ثقافة أخرى، كما يعنى أن هناك أساس للتفاهم بين جميع الثقافات حتى مع وجود اختلافات حول بعض القيم، وعلى الرغم من أن القيم العالمية تبدو عامة للغاية إلا أنها ستكون مفيدة فى التفاهم والتواصل المشترك بين الثقافات.

(Eðvarðsson, 2012 , 27) ولكن يظل ذلك تحدياً قائمًا يمكن اعتباره من أصعب التحديات التى تواجه المفهوم الجديد.

ح) إشكالية التوازن بين المحلى والعالمى فى التربية على المواطنة:

ازداد اهتمام المجتمعات المتطورة بالتربية على المواطنة بهدف مواجهة تنامي العنف، وتفكك العلاقات الاجتماعية، وصراع المصالح، وتدعيم منظومة القيم وقواعد السلوك الرشيد في المجتمع، حيث تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية بما فيها نقل الموروث الثقافي والقيمي لأفرادها بغية تنمية المواطنة، وإعداد المواطن الصالح القادر على مواجهة متطلبات الحياة المستقبلية والتعايش معها.(العمارى، ٢٠١٤، ٣٥)

وفى ضوء مفهوم المواطنة العالمية فإن التغيير القيمى الذى يعد من أهم محددات تشكيله، يصبح مطلباً أساسياً لبناء الدولة المعاصرة المرتكزة على قيم الحداثة وأهمها: قيم المواطنة وحقوق الإنسان بما تمثله من أساس تربوى وثقافى لإعادة بناء المجتمع المحلى والعالمي، وتوجيهه نحو غاياته المنشودة في الحرية، والمساواة، والعدالة، والتسامح، والسلام. وتلعب التربية على المواطنة دورًا حاسمًا فى تكوين الإنسان المواطن فى إطار المجتمع المحلى أو العالمى الذى ينتمى إليه.(الجيزاوى، ٢٠١٧، ١٥٨)

وبالنظر إلى العوامل المشكلة لمفهوم المواطنة بصيغتها التقليدية أو العالمية، وتأثيرها في البناء الاجتماعي والثقافي والتربوي، وتعزيز منظومة القيم الاجتماعية؛ بغية الوصول إلى بناء اجتماعي متماسك يقوم على الاعتزاز بالمجتمع وتاريخه وثقافته وقيمه، وفى نفس الوقت يرعى التجديد ويتطلع إلى مواكبة التغيير العالمي من حوله، فإننا نجد تحدياً كبيراً يواجة مسألة التربية على المواطنة العالمية، ويتعلق بالقدرة على إحداث التوازن بين أهداف وضعت من قبل للتربية على المواطنة بسمتها القومية، وأهداف مستحدثة للتربية على قيم عالمية هى فى ذات الوقت تمثل جوهر وفلسفة المفهوم العالمى للمواطنة.

لهذا يرى (العمارى، ٢٠١٤، ٣٦) أن دراسة الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة ببعديها المحلى والعالمى تشكل ضرورة ملحة، لما لها من أثر تحديد أولويات المجتمع نحو تربية معاصرة للمواطن بما يكفل تربية مواطنة سليمة ومتوازنة، مما يضع التربية أمام ضرورة تجديد

أدوارها ووظائفها بشكل مستمر مع التغيرات العالمية. وبما لا يخل بوظائفها الأساسية فى الحفاظ على التراث الثقافى والاجتماعى ودعائم الهوية.

٥- الإطار النقدى العام لمفهوم المواطنة العالمية وحيثياته:

يجب الاعتراف بأن مفهوم المواطنة العالمية هو مفهوماً جدلياً، فثمة اختلاف فى وجهات النظر حوله، تلك التى تبحث فى الإجابة عن تساؤل رئيس هو: إلى أى مدى تشكل المواطنة العالمية امتداداً للمواطنة المقيدة فى إطار الدولة القومية، وإلى أى مدى تتناقض أوتتنافس معها؟.(UNESCO, 2015,14) ومحاولات الإجابة عن هذا التساؤل هى ما تحدد عناصر المراجعة النقدية للمفهوم، وتبرر حيثيات النقد، ويعتمد البحث الحالى فى المساءلة والنقد على مرجعيات فكرية متنوعة عربية وغربية تتباين مواقفها ما بين التأييد والرفض؛ وهو ما يمكن توضيحه على النحو التالى:

أ) نقد المفهوم على مستوى الفكر الغربى:

في السنوات الأخيرة، وعلى مستوى الفكر الغربى، نتج عن المفهوم الجديد للمواطنة نقاش أكاديمي عنيف بين معارضون يلتزمون بالتعريف التقليدي للمواطنة وبين أولئك الذين يدعون أن المواطنة قد تغيرت بسبب عمليات العولمة، وذوبان الحدود، والإمكانيات التفاعلية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وانهيار العصا السابقة للدولة القومية؛ وبالتالى يمكن أن تأخذ المواطنة أشكالاً جديدة من المواطنة "غير المقيدة". (Commaerts & Van Audenhove, 2005, 148)

وقد اعتبر البعض أن مفهوم المواطنة العالمية يعد مفهومًا مميزًا بسبب قطبية الآراء المتجمعة حوله سواء بالتأييد أو الرفض، فهو بالنسبة للمؤيدين ينطوى على الالتزام العميق بنطاق أخلاقى أوسع، بينما يرى الرافضين أنه ليس مفهوماً واقعياً بسبب تغيب مفهوم الحوكمة العالمية التى هى بديلاً عن السلطة الحاكمة لمبدأ المواطنة .(Oxley& Morris, 2013, 303)

وفى سياق التأييد يرى بعض المؤيدين لمفهوم المواطنة العالمية أن روابط الإنسانية التى ينطوى عليها المفهوم أهم وأقوى من روابط الأمة نفسها، والمثال الواقعى الذى يستندون عليه هو التطورات العالمية التى صاحبت مجال الدستورية العالمية كمعاهدات حقوق الإنسان وغيرها من المعاهدات المصممة لحماية الحقوق والحريات الفردية، والتى أصبحت تحتل مرتبة أعلى من بعض طرق الحماية التى تقدمها الدولة خاصة مع الجدل المطروح من المفكرين السياسيين حول

طبيعة استمرار الدولة كإطار سياسى مرجعى صالح للمشاركة السياسية ومعبرعن الهوية فى ظل التطورات والظروف الراهنة كالعولمة وتزايد معدلات الهجرة. (Wintersteiner & et al, 2015,16)، بل ويبالغ البعض ويدعى أن المواطنة التقليدية أصبحت جامدة، فى مقابل المواطنة العالمية التى تشتق من مدرسة فكرية ترى أنه لم يعد هناك حاجة إلى تقسيم العالم إلى قارات ودول. (Stephens , 2010, 33-34)

كما يرى المدافعون أن المواطن اليوم لا ينبغى أن ينظر إلى المواطنة كشكل من أشكال الهوية وإنما باعتبارها ممارسة عامة، كما لا ينبغى النظر إلى خصائص المواطنة العالمية بشكل فردى مفرط ونزعة مجردة غير متصلة بحياة المواطنين الحقيقة، بل يجب تحديد مجموعة الخصائص الشمولية أو الحصرية لكل فئة من مواطنى العالم؛ بحيث تقلل من حدة التنوع الهوياتى. (Oxley& Morris , 2013, 304)

ويبرر البعض تأييدهم للمفهوم وتشجيعهم وتنشيطهم لعملية الانتقال المفاهيمى من القومية إلى العالمية بأن المواطنة لابد أن تترجم في الساحة العالمية إذا كان علينا أن نتعامل بجد مع مشاكل الحداثة والمشاكل عالمية النطاق، والتى توجب التكيف مع طريقة عالمية من التفكير للبحث عن حلول عالمية، وهو أمر طبيعى حيث أثبت التجارب التاريخية أن الإنسان مخلوق قابل للتكيف، وبالتالى فإن عليه تكييف أفكاره وهياكله مع الظروف الجديدة التى تتطلب ثقافة متقاربة وهوية مشتركة حتى تكون المواطنة كمفهوم قابل للتطبيق فى الواقع، ولهذا يرون أنه لا داعى لأن تظل المواطنة محدودة فى مجتمعات معينة، خاصة وأن المجتمعات الوطنية تحد من علاقات الناس زمانياً ومكانياً وتعوق التفكير الجمعى كمواطنين عالميين.(Eðvarðsson, 2012, 16)

وفى سياق النقد، يتسائل أحد النقاد البارزين لمفهوم المواطنة العالمية وهو "ديفيد ميلر" قائلاً: "كيف يمكن الانطلاق من المواطنة القومية المحدودة إلى المواطنة العالمية غير المحدودة عن طريق إزالة الحدود الوطنية من مصطلح المواطن؟"، ويجيب إنه أمر بلا معنى؛ فأي محاولات لتطبيقه عالميًا إما ستكون خيالية أو ستكون فاشلة في تقديم فهم حقيقى لمعنى المواطنة، ويقرر أنه حتى لو نجح المفهوم فى تقديم التزامات دولية للعدالة، فكيف له وضع طرق منصفة وعادلة لتصريف هذه الالتزامات؟. (Miller, 1999, 65-66)

ويؤكد " ميلر" أن مفهوم المواطنة العالمية سيبقى محل نزاع، طالما كانت هناك تفسيرات منافسة لمعناه تحمل مختلف التراتبات المعيارية من جهة، ومن جهة أخرى هناك قلق من أن

العالمية كإطار يضم أعدادًا هائلة من الموطنين هو إطار واسع جداً بالنسبة للمواطنة؛ وبالتالى يصعب أن تنشط فيه بشكل مثالى، وقناعته فى ذلك أن النطاق الطبيعي للمواطنة الحقيقية التى يمكن تزدهر من خلاله هو الدولة أو الأمة باعتبارها رمز الهوية ومركز الولاء، وهو ما تأكد تاريخياً منذ عصر النهضة وحتى اليوم. كما يرى أن سهولة التنقل وتطور وسائل الاتصال وحدهما لايكفيان لجعل جماعات كبيرة من الناس يتصورون أنفسهم كأعضاء في المجتمعات ذات الطابع الثقافي المحدد الذي وضع لهم بصرف النظر عن اختلافهم كمايرى أنصار الكونية. وهنا يرى" ميلر" أن مبرره قد يكون غير مقنع لدى بعض المؤيدين، لكنه يشعر أنه يرتكز على نقطة أقوى من مفهوم المواطنة العالمية نفسه.(Miller, 1999, 65-68)

كما تتفق معه "تومبسون" من خلال استعراضها لبعض أوجه النقد الموجهة للمفهوم والتى تؤكد من خلالها أن مفهوم المواطنة العالمية لامعنى له إذا ما تم تجاهل المعنى الحقيقى للمواطنة القومية الذى ينطوي على تكثيف واجبات التضامن الاجتماعي والواجبات الأخلاقية تجاه مواطني الدولة كمجموعة محدودة ومقيدة، وإذا تم تطبيق مصطلح المواطنة على البشرية كلها يصبح المعنى مجرد؛ لأن الانتماء للجنس البشري لا يعني بالضرورة أن لديهم فهم مشترك للحقوق والواجبات. (Thompson, 2001, 139) إذ يشك النقاد عادة في وجود قيم أو مبادىء عالمية للعدالة، وأن ما يوجد من قيم ومُثل عليا تقوم عليها المؤسسات السياسية الغربية تعكس هيمنة تلك المؤسسات، وبالتالي لا يمكن المطالبة بعالمية هذه القيم والمُثل، كما يدعي آخرون أن المُثل العليا للحقوق العالمية والعدالة بعيدة للغاية عن الدوافع القيمية والأخلاقية الحقيقية للأفراد التي تحددها ثقافة مجتمعهم، سواء أكان القبيلة أو الأمة أو الجماعة الدينية أو أي مجتمع آخر.(Thompson, 2001, 137)

وفى سياق الهيمنة والقيم الداعمة لها يرى "دوبسون" أن العالمية فى حقيقة الخطاب السائد هى الفضاء السياسى الذى يسعى فيه مجتمع مهيمن للسيطرة العالمية، ويحرر نفسه من القيود المحلية والوطنية والدولية، وبالتالى فإن العالمية – فى أغلب الاحوال– لا تمثل المصالح الإنسانية العالمية، إنها تمثل محلية الدول الكبرى التى تملى مبادىء العالمية، فبعض الدول لديها قوى العولمة والبعض الآخر ليس إلا متعولم فى ظل شمال يمتلك وصولاً عالمياً وآخر لا يمتلك إلا محليته بما يدعم اللاتوازن بين الجانبين. ولهذا يتحدى دوبسون مفهوم المواطن العالمى والمواطنة العالمية لأنها لا تأخذ فى الاعتبار العلاقات غير المتكافئة بين الشمال والجنوب، وحتى مع افتراض الترابط بين

جميع أنحاء العالم فإن تربية المواطنة العالمية غالباً ما تكون مصحوبه بالقصور فى فحص مفاهيم الإنسانية المشتركة. (Dobson, 2005, 261-262)

من ناحية أخرى نقد "أولريش بك" هذا المفهوم الجديد للمواطنة عابرة الحدود حيث أنه يتطلب إنشاء منظمات للمصالح المشتركة وتشكيلات كبرى تكون مهمتها حل الخلافات السياسية عبر الوطنية، واحتضان النزاعات والقضايا العابرة للحدود، وتكمن قوتها فى الكشف عن التناقضات والأنانيات الثقافية والسياسية، غير أن تلك المنظمات ستواجه نوعاً من الصعوبات أكبر حجماً كلما ازداد تناقض الخلفيات الثقافية وأوضاع الاقتصاد وشروط النظم السياسية، فالمنظمات والحركات العابرة للحدود والراعية للمواطنة عليها أن تتحمل هذه التناقضات، وعليها أن تكسب قوتها السياسية فى حل صراعات الهوية، كما عليها أن تناضل من أجل تسوية القضايا العابرة للحدود مع مراعاة الأوساط الثقافية الوطنية وهو أمر غاية فى الصعوبة. (بك، ٢٠٠١، ١٩٩-٢٠٠)

ومع ذلك وكما يرى "بك " يبقى السؤال الرئيسى طبقاً لهذا المفهوم: أين تجد روابط الجماعات عبر الحدود التى لا يساندها المكان (الجوار)، ولا الأصل(الأسرة)، ولا الأمة (تضامن المواطنين المنظم حكومياً) قاعدتها المادية وإلزاميتها؟، كيف ستكون القررات الملزمة جماعياً لما بعد الوطنية؟، وكيف سيكون العمل السياسى ممكناً؟. (بك،٢٠٠١، ١٧٤) ويضيف "بك" بعداً آخر للسؤال قائلاً: "فى إطار ذلك من نكون؟ من سيكون حاملاً لهذا النوع من حركة المواطنين العابرة للحدود؟ هناك، حيث تصبح الشمولية مشكلاً يومياً أو موضوعاً للتعاون فى العواصم، وفى المدن الكونية الجديدة Global cities، وفى المنظمات العابرة للحدود، كيف وأين سيتكون الوعى لمواطنة المجتمع العالمى بمفهوم ما بعد وطنى للدولة، والسياسة، والمسئولية، والعدالة، والفن، والعلم، والمبادلات العامة؟، إنه سؤال سيظل بلاجواب، وما هو واضح إلى اليوم : هو أن الاتصال بالإنترنت وحدة لا يخلق مواطناً عالمياً". (بك، ٢٠٠١، ٢٠٠)

كما يشير "بك" إلى جانب أخر يتعلق بالمسئولية الذاتية للمواطن المتعدد النشاط فى ديمقراطية لا تزال تجريبية، فما من مكان إلا ينمو فيه القلق من أن اتجاه المجتمعات الحديثة اتجاهاً جمعياً إلى حد بعيد، يجعلها تتهاوى فى أوضاع متناقضة تفقد فيها قدرتها على إيجاد الروابط الاجتماعية مع تقسيم التوجيهات القيمية، وهناك اعتراض فحواه أن عمل المواطن فى مجتمع العمل العالمى لا يستطيع أن يكون فعالاً بالمقابل مع عمله فى المجال الحيوى الجغرافى

الاجتماعى الثقافى الذى مكنه هو نفسه من الوجود، حيث قد يضطرإلى مناهضته إذا استدعى الأمر. (بك، ٢٠٠١، ١٦٨)

على الرغم من أن هذا المفهوم يواجه انتقادات تبدو منطقية ومقنعة، وتساؤلات هامة تنتظر إجابات محددة وواضحة، إلا أن التحقيق الأعمق يبين لنا أن المفكريين الغربيين يؤكدون – كما يبدو واضحاً من خلال تحليل أوجه النقد المقدمة– أن هناك حاجة لمواطنة قومية حقيقية بالأساس ننتقل منها للبحث عن هوية المشتركة وروابط ثقافية مشتركة، ومقومات للفهم المشترك، وبالشكل الذى يسمح بتنحى عوامل الهيمنة، وبالحشد والتضامن والاهتمام بقضايا عالمية، والعدالة فى التمثيل والواقعية فى الإجراء، وعندها فقط يمكن أن تكون المواطنة العالمية قابلة للتطبيق .

ب) نقد المفهوم على مستوى الفكر العربى:

فى ظاهرة قد تبدو غريبة، نجد على مستوى الفكر العربى أن هناك تأييدًا واسعًا لمفهوم المواطنة العالمية فاق الاعتراض، حيث توجهت الدراسات – فى معظمها – إلى البحث فى سبل ترسيخ المفهوم دون مراجعة أو تمحيص أو نقد، وذلك فى الفلسفة، والسياسة، والثقافة، والتربية بصفة خاصة؛ والتى شهدت زخمًا فى نوعية الدراسات التربوية الموجهة نحو إمكانية تطبيق المفهوم فى الفلسفة التربوية والمناهج والأنشطة، والبحث فى أدوار المدرسة والإدارة والمعلمين فى دعم التربية على المواطنة العالمية، ويمكن مراجعة ذلك من خلال البحوث والدراسات التى تناولت التربية على المواطنة العالمية أو التعليم من أجل المواطنة العالمية.

ورغم ذلك، وكما هو الحال فى الفكر الغربى، فقد تراوحت آراء بعض المفكرين العرب –الذين حددوا موقفهم من المفهوم– بين التأييد والرفض. حيث يرى البعض أنه بالرغم من أن العولمة والمحلية عنصران متناقضان إلا أن المواطنة العالمية قد تقوم بالتوفيق بين العنصرين باعتبارهما وجهين لعملة واحدة، ويمكن التعبير من خلاله على المستويين العالمى والمحلى، حيث أن المواطنة ترى العولمة مرتبطة بالمحلية، ولا تقتصر على الجنسية أو الإقليم، حيث أن البشر أولاً وأخيراً هم مواطنون فى عالم واحد.(السروجى، ٢٠١٠، ٦٥).

بينما يرى بعض الرافضين أن التناقض بين مفهوم العولمة ومفهوم المواطنة يرجع إلى الإطار النظرى التصورى أو ما يطلق عليه المرجعية الفكرية، وكذلك يرجع إلى التناقض فى الإرساءات المتضمنة فى كل منها، فالعولمة توحد النظرة الاقتصادية والاجتماعية، وتوحد

المبادىء الثقافية والأنظمة القيمية الداعمة لذلك، وتتبنى أساليب وممارسات واحدة فى مختلف دول العالم، بينما المواطنة تعنى وجهة نظر اقتصادية واجتماعية وقيم ثقافية خاصة ومتميزة، وسياسات وأساليب وممارسات خاصة.(درويش ، ٢٠٠٩، ١٤٢) فى إشارة إلى صعوبة الربط بين المواطنة كمفهوم قيمى خاص، وبين عالمية تدعيها العولمة التى توحد بين النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتربطها برابط نفعى لمصالح قوى بعينها.

كما يتسآل (دروش، ٢٠١٤، ٤٩) عن أوضاع مجتمعاتنا العربية فى ظل ذلك قائلاً: "كيف لمجتمعاتنا العربية المعاصرة بكل ما تعانيه من مشكلات تنعكس فى مفاهيم سائدة أبرزها الحقل السوسيولوجى منذ الثمانينات من القرن الماضى كمفهوم ثنائية المجتمع، والشرخ الاجتماعى، والاقصاء أو الاستبعاد الاجتماعى، تلك المفاهيم التى تبعث إلى ظهور نوع جديد من الفقر الاجتماعى بأبعاده المختلفة، وبالتالى تلتقى تلك المظاهر مع عجز المواطنة عن تحقيق أهدافها ومبادئها فى تلك المجتمعات".

فى سياق متصل، يطرح (البرهومى، ٢٠١٥،٢١) سؤالاً هاماً قائلاً :" كيف ندعى لأنفسنا شرقاً كنا أم غرباً أن نضع تصوراً لمواطنة عالمية أو كونية واحدة لها الحق فى حراسة التاريخ البشرى؟، وأحياناً النطق على ألسنة العلماء والمفكرين والقيادات الدينية والسياسية والنقابية التى تتحمل مسئولية هندسة تاريخها" . وهو هنا يستثير البعض للحوار حول ما يتبع المفهوم الجديد من فرض الوصاية والولاية والهيمنة.

وفى إطار النقد العربى، أخذ البعض يشير إلى مخاطر الأخذ بعالمية المفهوم؛ حيث يشير (الربيعى، ١٩٩٩ ،٢٣) إلى أن مفهوم المواطنة فى الأصل قد استقر على إعطاء دلالات اجتماعية، وقانونية، وثقافية، وسياسية، وتربوية تجعله يرتبط برباط قوى مع الهوية، إلا انزلاقه نحو الكلية التاريخية ووحدة المبدأ تجعل كل ما يتعلق بتنظيم الحقوق المدنية والدستورية داخل المجتمع الواحد لا يخرج عن تأثيرات العلاقات الخارجية أو الدولية، وبقدر ما تفرض سياقات التصادم والتعارض بين الأفراد، نجد الأمر يتسع ليشمل الصراع على المستوى الدولى، وتزداد مسألة الاستشعار بالخطر، والحذر من الصدام حتى فى أشد العلاقات الدولية سلاماً.

وقد تخوف (درويش، ٢٠٠٩، ١٦٣-١٦٤) من خطورة المفهوم على تفكيك آليات الدول فى توفير الضمانات الاجتماعية للمواطن، فالليبرالية الجديدة تحاول إبراز مفاهيم جديدة مثل المواطنة العالمية، وعليه يكون مصير الإنسان وحقوقه فى أيدى قوى مجهولة لا يمكن أن

تضمن للفرد ولا لجماعة أو منظمات المجتمع المدنى الحصول العادل والمستدام على حقوق المواطنة منها.

كما يرى (العربى، ٢٠١٠، ١٣٢) أنه حتى لو تحقق الطموح الذى يسعى إليها منظرو ودعاة المواطنة العالمية والمجتمع المدنى العالمى ، فمن شأنه أن يضيف تأثيراً آخر على الدولة القومية، على غرار الاختراقات الممارسة من قوى السوق العولمية والمؤسسات العالمية، والشركات متعددة الجنسيات، وقد تشهد الدولة أو الأمة – فى المستقبل – استلاباً واحتواءً لقضاياها الاجتماعية بل ولسياساتها الاجتماعية.

وعليه يؤكد (نصار(أ)، ٢٠١٦، ٨٥-٨٦) أنه فى ظل حدة الاستقطاب السياسى العالمى، وسيطرة السطوة الإعلامية العالمية، لا يمكن لمفهوم واحد أن يتصدى لعدد من الحقوق المتضاربة والانتماءات المتصارعة، والهويات المتقاتلة من ناحية، وهو من ناحية أخرى يعمل على ذوبانها فى السياق العالمى العام، إذ حتماً سيكون تماسك المجتمع واستقرار الدولة مهدداً، فى ظل تهديد مزدوج يواجه ترسيخ قيم المواطنة المحلية والعالمية.

وبناءً على ماسبق، وفى ضوء أوجة النقد المقدمة لمفهوم المواطنة العالمية فى الفكر العربى والغربى، فإن توطين المفهوم يتطلب انفتاحًا على مفهوم المواطنة على أسس عقلانية نقدية أخذين فى الاعتبار مناقشة كل ما يطرح من تنظيرات مبررة للرفض أو القبول، وتحليل كل عوامل نجاحات واخفاقات تطبيقات المفهوم وبما يساعدنا على الفهم السليم والتوطين الآمن والتوظيف الجيد للمفهوم، مع الرصد الواعى لآثاره على الشعور الوطنى والهوية المواطنية، ويجب الإجابة أولاً على سؤال هام: من أين نبدأ تشكيل البنية الفكرية التربوية للمواطنة العالمية؟.

وهنا نؤيد – من حيث المبدأ– ضرورة البدء بتعزيز المواطنة فى الدولة القومية، واعتبار ذلك أفضل طريقة لتعبئة الأفراد والمواطنين نحو القيم الإنسانية العالمية مع استشعار الميول العالمية الضارة، فالبدء بالتركيز على عالمية المواطنة قد يؤدى إلى مشاكل تتعلق بالهوية والالتزامات المرتبطة بها، فلسنا مضطرين لأن نضحى بالمصالح الوطنية من أجل تحقيق الأهداف العالمية.غير أن الموقف التفصيلى من المفهوم فى البحث الحالى سيتتضح من خلال معالجة المحور التالى.

٦- توطين مفهوم المواطنة العالمية بين القبول والرفض: (الموقف وعناصر المراجعة)

إن ملاحظة مآل المفهوم والموقف الواعى وعناصر المراجعة وقواعد النقد، إنما تؤكد أن الموقف المبسط من مفاهيم آلت إلينا من حضارة أخرى كحضارة الغرب كالرفض المطلق أو القبول

المطلق قد يحمل عناصر خلل شديد فى التعامل الحساس مع قضية أخطر ما تكون، ويصبح من الأجدى رد مجمل البنيان المعرفى إلى مجموعة مفاهيم ومنظومة متكاملة من المفاهيم تجعل الأولوية لعناصر تقدير المصلحة فى تبنى مفهوم معين، أوربما رفضه، أو التحفظ عليه، أو على جوانب منه، وهى عمليات معقدة يجب حسابها بدقة. (إسماعيل، ٢٠٠٨، ٢٩)

إن الموقف من مفهوم المواطنة العالمية هو فى الحقيقة أقرب إلى المأزق Dilemaa وهو موقف يتضمن مشكلة أو أكثر، ويعرض عدة حلول قد يكون أحلاها مر، فالوقوف بين المواطنة القومية والمواطنة العالمية تضع أمامنا اختيارين الأول: رفض قد يحدث عزلة عن الحركة العالمية وهو ما قد يعوق التقدم، والثاني: قبول قد تضيع على إثره الهوية وتندثر الثقافات المتراكمة لكل دولة عبر التاريخ .(اسكاروس، ٢٠١٥، ٥٤)

ويتجه **البحث الحالى** رغم كل ما نتج من خلال تحليل العناصر السابقة لإعادة بناء المفهوم وفى ضوء التحليل السابق أن مفهوم المواطنة العالمية قد يحمل رصيد قيمى وأخلاقى وإنسانى باق داعم لإمكانية التوطين فى الفكر التربوى العربى شريطة اعتبار مفهوم المواطنة العالمية مفهوم استكمالى ليس إلا امتداداً للمواطنة القومية والمحلية لا بديلاً أو تعويضاً عنها، واستقباله باعتباره بديلاً هو أمر يجب أن يكون مرفوضًا من البداية. لكن ذلك يستدعى تجاوز بعض الخصائص الحالية للمفهوم وإعادة توجيهه نحو المعانى الإنسانية التى يروج لها والتصورات الحقيقية المميزة لها، وهذا هو التصور الحقيقى لمفهوم المواطنة (العالمية) بل (الإنسانية) التى يجب أن تؤسس التربية العربية عليه سعياً لتحقيق إنسانية المواطنة الضامن الوحيد لعالميتها، أما القبول بمفهوم المواطنة العالمية من منظور غربى فى الإملاء والمصطلحات هو نفسه أمر غير مقبول، لكن ما يقبل به هو الالتزام بالشروط التالية:

أولاً: مفهوم المواطنة العالمية يجب أن يضمن الشروط السياسية العالمية وتفعيل جميع النوايا الحسنة، خاصةً وأن النظام العالمى المتحيز وغير العادل لا يزال هو القائم بمظاهره السائدة كالاختلافات الحادة فى الثروة، وفرص الحياة، والسلطة السياسية، فكيف للتربية أن تصنع مواطناً عالمياً بالمعنى الكامل للمصطلح وهيكل العلاقات الدولية القائم يمنع ذلك؟، وبالتالى علينا أولاً أن نحقق وبشكل نقدى فى الأزمات والمشكلات والتطورات الدولية كالحروب، المجاعات، التعليم، حالة حقوق الإنسان، التجارة الدولية، وسنجد هذه المعايير غير كافية، وبالتالى يصبح المعيار التوجيهى الأساسى لنهج المواطنة العالمية هو عالم السياسة الداخلية أولاً والتى يجب أن تعكس المستوى الدولى حتى لو كان هذا

ليس ممكناً فى الوقت الحاضر، كما يجب التركيز على بعض القواعد العامة كالديمقراطية فلا قمع للضعيف من قبل الأقوى، ومبدأ حقوق الإنسان يجب أن يكون له معيار مقبول دولياً، المفاهيم العالمية للعدالة، التدابير السياسية للحد من الظلم الاقتصادى، المواطنة الوطنية ثم المواطنة عبر الوطنية. (Wintersteiner & et al, 2015, 12)

ثانياً: أن مفهوم المواطنة العالمية يشير إلى قضية مركزية فى التربية على المواطنة العالمية، والتى ينبغى أن تتصدى لمعالجة المفهوم بأبعاده المختلفة سياسياً وثقافياً واقتصادياً خاصة مع تعمق جذورعدم المساواة فى السلطة والثروة، وتقسيم العمل فى ظل نظام عالمى معقد، لذلك ومن أجل فهم القضايا العالمية، فإن أمام التربية شبكة معقدة من المفاهيم والعمليات، والثقافات والسياسات المحلية والعالمية تحتاج إلى تفكيك، وإذا نجحت التربية فى ذلك فإنها تكون قد قامت بتعزيز مهمة حضارية جديدة فى إعداد جيل يحمل عبء الحضارة العالمية، وتحفيز قدرته على إحداث فارق إنسانى كقوة عالمية بارزة . (Andreotti & 2006, 41)

ثالثاً: أنه للحد من مخاطر الأخذ بالمفهوم ينبعى على التربية على المواطنة العالمية أن تركز على إحداث توازن بين الأخذ بالمفهوم وبين تعزيز الهوية الوطنية بحيث يكون الهدف الأساسى هو الاطمئنان إلى ترسيخ مفهوم ومبادىء المواطنة القومية أولاً ثم استثمار هذا الرصيد التربوى فى التوجه نحو المواطنة العالمية. ويمكن تحقيق ذلك من خلال الاعتماد على تحقيق التوازن والانسجام وإزالة التناقض بين المقاربتان المختلفتان للمواطنة وهما: المقاربة الوطنية pariotic Approach حيث النظر للمواطنة على أنها قيم الاعتزاز بالانتماء إلى بقعة أرض جغرافية تسمى وطن يكون للمواطن فيها حقوق وعليه أداء واجبات معينة، والمقاربة الثانية هى المقاربة العالمية أو الكونية cosmopolitan approach حيث النظر إلى المواطنة الكونية على أنها قيم الاعتزاز بالانتماء إلى العالم/ الكون الفسيح بما تطرحه من حقوق وواجبات للمواطن العالمى.(اسكاروس، ٢٠١٥، ٥٩)

رابعًا: يجب أن تبدأ التربية على المواطنة العالمية ببناء وعى عالمى أولا، يسعى لتقريب وجهات النظر من خلال خمسة منظورات: (وعي المنظور العالمى، وعي بحالة كوكب الأرض، وعى عابر للثقافات، الوعي والمعرفة بالديناميات العالمية، والوعي بالخيارات البشرية المتاحة). ويجب أن توفر هذه المنظورات أو النماذج أيضًا رؤية قياسية معيارية قوية

للمواطنة العالمية .(Oxley& Morris, 2013, 304)، وبالتالى إذا كان هناك اتفاق حول المعايير العالمية سواء كانت متغيرة أو ثابتة، وإذا كان هناك تشكل لوعى عالمى فى كل المجتمعات، فإن ترسيخ المفهوم لن يتم إلا إذا اكتمل هذا الوعى وحينها ستصبح المواطنة عالمية وإنسانية حقاً. ومن المهم أولاً مناقشة مفهوم العالمية ووضع قاعدة معرفية عامة له تكون مرجعية مشتركة للتفاهم بين المتحاورين دون الدخول فى مسألة التفسير الذاتى للمفهوم حتى لا تحدث أزمة معيارية.

خامسًا: لابد من تركيز الفاعلين التربويين على إزالة الغموض الذى يحيط بمفهوم المواطنة العالمية قبل تحديد السمات الرئيسية لمجموعة متنوعة من الغايات للسياسات والبرامج التعليمية التى تعزز المواطنة العالمية، عن طريق بناء تصنيف واضح ومحدد للتصورات المتنوعة لمفهوم المواطنة العالمية والتمييز بينها، ويعتمد التصنيف على أساس عالمى موجه cosmopolitan based وأساس محلى (تأييدى –دفاعى) advocacy based ، ويتضمن الأول أربعة تصورات مميزة لمفهوم المواطنة العالمية هى: السياسية، والأخلاقية، والاقتصادية، والثقافية، وهذا الأخير يضم أربعة أخرى هى: الاجتماعية والنقدية والبيئية والوجدانية، ويمكن الاعتماد على تلك التصورات فى تقييم عناصر النقد للمناهج الداعمة لتعزيز المفهوم حيث يوفر التصنيف وسيلة جديدة وفعالة لتحليل السمات الرئيسية لمجموعة متنوعة من الغايات للسياسات والبرامج التعليمية التى تعزز المواطنة العالمية.(Oxley& Morris , 2013,301-325)

سادساً: الاطمئنان إلى التضمين القيمى للمفهوم المواطنة العالمية: إذ لا ينحصر العمل الفلسفى على بناء المفاهيم والمصطلحات وتأصيلها، وإنما يتعدى ذلك إلى ضرورة تضمينها قيماً معينة، انطلاقاً من الاعتقاد بأن شحن المفاهيم بالقيم ضمان لاستمراريتها وبعث التجديد فيها. لأن المفهوم الذى نود الاشتغال عليه فى حقل الفكر العربى هو المفهوم حامل للقيمة، أى معتد بمنظومة القيم التى يدور فى فلكها، بهدف جعل القيمة موجهاً دلالياً لمعنى المفهوم أو المصطلح، ومساراً من مسارات تاريخ كامن فى اللغة، لأن القيم تضبط المفاهيم وتمنحها إمكاناتها الدائمة على التجاوز والإبداع. (ابن دنيا، ٢٠١٧، ١٤٩) وبالتالى يجب على التربية أن تؤسس لمفهوم المواطنة العالمية من خلال قوام قيمى مستند إلى منظومة عقيدية وأخلاقية وثقافية واجتماعية عاكسة لجوهر الحضارة العربية قبل أن تكون عاكسة للقيم العالمية.

سابعاً: إن سعى التربية إلى عملية إعادة بناء المفهوم وتوطينه يستوجب إدراك المراحل التى يمر بها تكوين المفهوم فى التجربة الإنسانية عامة، وهى العمليات العقلية التى يتم من خلالها بناء المفاهيم فى العملية التربوية بخاصة وتحديد استخداماتها المعرفية المتعددة، (الصاعدى، ١٤٣٥هـ،٢٢)، وعليه يجب الوعى بالعمليات البنائية التاريخية والتطورية لمفهوم المواطنة العالمية، والاسترشاد بها فى التجارب التربوية الجديدة التى تستهدف عملية التوطين.

المحور الرابع: نحو رؤية بنائية مقترحة لتوطين المفاهيم التربوية الوافدة فى الفكر التربوى على ضوء مدخل إعادة بناء المفاهيم.

ترتسم الرؤى والتصورات فى ذهن الإنسان وحدسه على ضوء معطيات معرفته، وتخصصه، واهتمامه، ومنهج الانتماء لديه، وكذلك حضوره وفاعليته فى المجال المراد التخطيط له، ولأن التخطيط يمس الحقائق الموضوعية للإنسان فسيكون من الضرورى وضمن فعل الصيرورة الإنسانية أن يتوجه جمهور ما نحو المفاهيم؛ لكى تنجز استهدافاتها المستقبلية بالإثبات والإنكار وكذلك التأييد والرفض وربما عدم الاكتراث والمحايدة. ودون ذلك قد تجتهد قوى بعينها فى سبيل الاستحواذ علي المناطق الفارغة من المستقبل والخاملة من النشاط الإنسانى العام، وقد يكون ضمن الهيمنة إذا لم تجد تلك القوة المتحركة فى طريقها أى ممانعة أو تقدم نحو مزيد من سد الفراغات المفاهيمية، الثقافية، الاجتماعية، الدستورية، القانونية، وكل ما يتعلق بقضايا الحريات، والمشاركة وغير ذلك مما قد يتجمل به النظام العالمى الجديد فى سبيل توسيع مساحات تدخله فى شأن المجتمعات الجامدة. (آل حبيل، ٢٠٠١، ١٠٣- ١٠٤)

والرؤية البنائية المقترحة كما نعنيها هنا فى مجال البحث تستدرك البعد المفاهيمى فى جميع تصوراته، وتحاول طرح اجراءات بنائية جديدة لتحديد المراحل والعمليات الأساسية الأكثر فاعلية فى حسم الجدال المفاهيمى الذى يحيط بالمفاهيم الوافدة، والتى يمكن الاستناد عليها عند إعادة بناء المفاهيم التربوية الوافدة قبل إتمام عمليات التوطين، مع الإشارة إلى مرونة تلك الرؤية التى تترك الباب مفتوحاً للإضافات، وتسمح بقابلية التغيير.

١- المرتكزات والمنطلقات الفلسفية للرؤية البنائية المقترحة:

تؤسس الرؤية البنائية المقترحة على بعض المنطلقات والمرتكزات الفلسفية والإبستمولوجية التى تمثل عوامل الحفز ودعامات البناء ، وتتمثل فى:

- حاجة المعرفة بصفة عامة والمعرفة التربوية بصفة خاصة إلى دعم إنتاج الأجهزة المفاهيمية والاصطلاحية سواء على صعيد التنظير أو الممارسة، ويترتب عليها نوعاً من المواءمة أوالتأصيل حول المصطلحات والمفاهيم بما يتفق والبنية الحضارية الثقافية من ناحية، وشروط حقل المعرفة من ناحية ثانية، وحاجات التلقى والاتصال بالحضارات الأخرى من ناحية ثالثة .(نافع، ٢٠١٤، ١٠)
- أن الدعوة إلى وضع اعتبارات عديدة للاستهلاك التربوى للمفاهيم والمصطلحات التربوية من الثقافة الغربية ليست دعوة إلى التقوقع داخل شرنقة الذات ولا إلى عزلة ثقافية أصبحت فى العصر الحالى مستحيلة، ولكنها دعوة صادقة إلى مراعاة وإدراك حقيقتين هما: الاختلاف بين المقولات مابعد حداثية الغربية والعربية، والخطر فى ترسيخ التبعية الثقافية. (عبد العال، ٢٠١٠، ٩٥).
- تحتاج المفاهيم الوافدة إلى إعادة بناء يتبعه موقفاً واضحاً من إمكانية التوطين وفق منهجية معيارية متفق عليها فى عملية البناء والتأصيل الجديد لاستخراج الدلالات فى سياق محلى، وتحريرها من كافة أشكال الغموض والالتباس قبل عملية التوطين.
- أن عملية البحث فى بنية المفاهيم بصفة عامة هى ضرورة ومطلب حضارى تقتضيها إرهاصات الحضارة المعاصرة، فالمفاهيم التربوية ليست بنية فلسفية جامدة تتجاوز مقتضيات الزمان والمكان أو تتعدى فعل التشبع الثقافى، بل هى خلاصة فكر إنسانى منظم يعبرعن توجهاته وطموحاته الإنسانية والتربوية.
- المفاهيم التى تؤسس للفكر الإنسانى بصفة عامة، والتربوى بصفة خاصة تشكل ميداناً خصباً تتقاطع فيه المفاهيم بالمعرفة والثقافة والسياسة والاقتصاد والاجتماع، وبالتالى تصبح أساساً داعماً لقدرة الفكر التربوى على تجاوز هموم وإشكاليات الواقع واستشراف المستقبل، وتنمى قدرته على اليقظة الثقافية ومواجهة تحديات الأمن الفكرى والثقافى وتداعيات مرحلة مابعد الحداثة والعولمة .
- أن التجديد الفكرى والثقافى والتربوى لابد أن ينبثق فى قلب حركة المجتمع وبِيَد مفكريه، من خلال مراجعة الذات ونقدها، وإعادة النظر فى مفاهيمها وطموحاتها التى لا يمكن أن تفرض عليها من الخارج دون تمحيص وتدقيق وقناعة ، وأيضاً من خلال مراجعة الآخر ومفاهيمه ومقولاته التى يصدرها إلينا .

٣- التصورات المرحلية للرؤية البنائية المقترحة:

مع الاتفاق على أن الهدف الاجتماعى الأساسى للتربية هو استمرار إعادة الفحص والبناء للمفاهيم والأفكار والآراء، فإن الرؤية البنائية المقدمة لإعادة بناء وتوطين المفاهيم التربوية الوافدة وهو ما يمكن أن نسمية هنا فى البحث الحالى (استراتيجية الدعم المفاهيمى) وهى استراتيجية تؤسس على فكرة الانفتاح الآمن على الآخر، وتتبنى منطق استدخال وتوطين المفاهيم الوافدة إلى الفكر التربوى من قبيل الحاجة إلى التجديد وتجاوز الجمود والانعزالية فى ظل عالم مفتوح، وتقوم على عدة محاور هى بمثابة خطوات متسلسلة تمثل آلية للتعامل مع المفاهيم الوافدة بدءً من عملية الاستقبال غير الحافل دون سابق انبهار أوتحيز للمفاهيم الجديدة الوافدة، وانتهاءً بعمليات التوطين والتوظيف الإجرائى لها حال قبولها، ويقترح البحث الحالى تصورات مرحلية تؤسس الرؤية البنائية المقترحة، وتتمثل فى عدة مراحل بنائية يمكن ترتيبها على النحو التالى:

أ) **مرحلة الاستقبال:** بمعنى فتح باب الفكر التربوى العربى لاستقبال كافة المفاهيم المستحدثة والمنتجة فى ساحات فكرية أخرى.

ب)**مرحلة الانتقاء:** أى انتقاء بعض المفاهيم التى يمكن قبولها شكلياً، وهو انتقاء ليس معناه الرضا والقبول أو الاطمئنان، وعزل البعض الآخر الذى لا يبدو من خلال مظهره لائقاً بأى حال من الأحوال مع ثقافتنا العربية وفكرنا التربوى.

ج) **مرحلة التفكيك:** بمعنى تفكيك المفاهيم المنتقاة إلى عناصرها الأولية تمهيداً لإخضاعها لعملية التحليل.

د) **مرحلة التحليل:** بمعنى إخضاع عناصر المفهوم لعملية التحليل مرة لمفرداته، ومرة أخرى لصورته الكلية أى مفرداته مجتمعة.

هـ) **مرحلة إعادة التعريف** (البناء التجريبى)**:** وتعنى بتجميع العناصرالمفككة للمفهوم بعد إزالة عوامل الاغتراب عنها، وإعطائه تعريف جديد وتصور أولى يناسب طبيعة الفكر التربوى العربى.

و) **مرحلة التهيئة:** وتعنى بتهيئة ساحة الفكر التربوى العربى للتعامل مع المفهوم الجديد بعد إعطائه صبغة فكرية محلية مستمدة من خصوصية التربية العربية.

ز) **مرحلة التوطين:** وتتعلق بتأصيل وترسيخ المفهوم فى الفكر التربوى العربى بعد وصوله إلى حد مقبول من الاتفاق عليه أوالقبول به.

ح) **مرحلة التوظيف التربوى:** وتعنى إنزال المفهوم من المستوى التنظيرى بمثاليته وتجريده إلى مستوى إجرائى واقعى.

وهذه المراحل والموضحة بالشكل رقم(١) سيتم تعريف محتواها وإجراءاتها تفصيلياً عند وضع التصورات الإجرائية للرؤية البنائية المقترحة، لكن ما ينبغى التأكيد عليه هو نقطتين هامتين هما:

الأولى: هو أن العلاقة بين هذه المراحل هى علاقة تراتبية؛ بمعنى أن عامل الترتيب يجب أن يؤخذ فى الاعتبار عند التنفيذ الإجرائى، فكل مرحلة هى خطوة فى طريق عملية إعادة البناء والتوطين، وتقوم بدور وظيفى فيه، وتعتبر تمهيداً لخطوة أخرى ستبدأ، غير أن هذه المراحل متداخلة فلا توجد حدود فاصلة يمكن الوقوف عندها بل إن الفصل هنا فقط للتوضيح فقط.

الثانية: التأكيد على استمرارية العملية البنائية بمعنى أنها لا تنتهى بمرحلة التوظيف، بل بمجرد الانتهاء تبدأ مرحلة جديدة من الاستقبال، خاصة وأن التطورات المعرفية مستمرة ومتلاحقها يصعب معها التوقف عن عملية إعادة البناء وإلا أصاب التخلف مجتمعاتنا العربية ووقعنا بأيدينا عقود التنازل عن خصوصية فكرنا وهويتنا الثقافية والمعرفية.

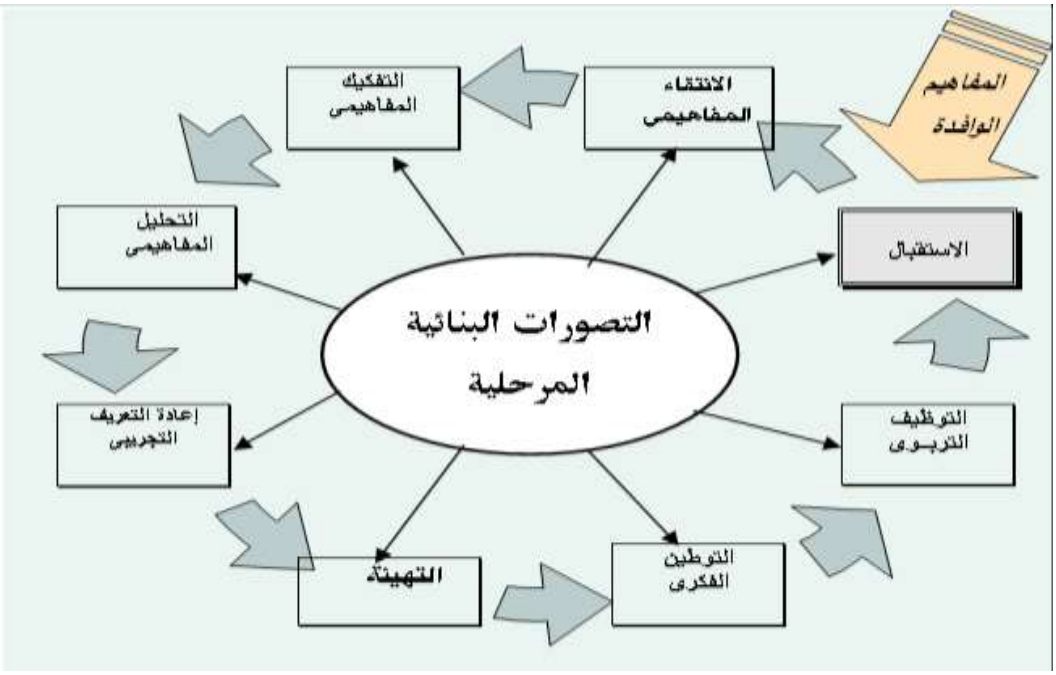

شكل رقم (١)

التصورات البنائية المرحلية لإعادة بناء المفاهيم الوافدة (الشكل من إعداد الباحثة)

٣- التصورات الإجرائية للرؤية البنائية المقترحة:

لا تقف الرؤية البنائية عند حد التصورات المرحلية بل يجب أن تتعداها إلى وضع التصورات الإجرائية لضمان عدم التخبط والفوضى فى التنفيذ، وتجنب سوء الفهم لمضمون المراحل البنائية وفيما يلى تقديم التصورات الإجرائية لكل مرحلة بنائية:

أ) مرحلة الاستقبال:

هى العملية الأولى وهى تتعلق بمرونة الفكر التربوى العربى فى ظل العولمة والتحديات الثقافية المعاصرة التى لا يمكن تجاهلها أوالتظاهر بالجمود مع إفرازاتها، وتلك العملية تتعلق باستقبال كل ماهو ثقافى شرط الاقتراب منه بحذر واعى، وفى ضوء منطق واضح لإعادة النظر بكل مالا ينسجم مع الهوية، ومع الثقافة، ومع الواقع العربى، فى سبيل بناء فكر تربوى عربى متجدد ومتطور وفى الوقت ذاته قادر على تجاوز التبعية وقادر على فهم نوايا الأيديولوجيات المهيمنة والتخلص من آلياتها، وتتطلب هذه المرحلة القيام بالإجراءات التالية:

- المتابعة المستمرة لما يجد ويستحدث على الساحة الفكرية الغربية من مفاهيم، ومتابعة التطورات المعرفية فى جميع الحقول المعرفية التى تتداخل مع الحقل التربوى.
- استقبال المفاهيم التجديدية استقبالاً غير محدد بموقف معين كالقبول أوالرفض قبل البدء فى عمليات إعادة بنائها وضبطها بما يتوافق مع البيئة العربية ونسقها التربوى.
- متابعة التجارب المفاهيمية الناجحة، وتقييم قدراتها وإمكاناتها التطويرية فى بيئتها المنتجة.
- دراسة الانعكاسات التربوية للمفاهيم الجديدة سواء ما يتعلق بقدرتها على تجديد الفكر التربوى فى بيئة المنشأ، أو قدرتها على تحقيق نتائج إيجابية فى تطوير الواقع التربوى.

ب) مرحلة الانتقاء:

هى الخطوة الثانية التى لها من الأهمية بقدر ارتباطها وتصديها لمهمة كبرى هى سلامة الهوية العربية والتصدى لمحاولات الاختراق والهجوم عليها، وتتعلق عملية الانتقاء بقدرة مفكرينا ووعيهم بالشروط الثقافية والاجتماعية والمعرفية التى تسمح باستدخال مفاهيم جديدة على ساحة الفكر التربى العربى بما لايخل بسلامة تلك الشروط، أو يضر بالهوية، أو يتخطى حدود الخصوصية التربوية العربية، وتتطلب هذه المرحلة القيام بالإجراءات التالية:

- تقدير أهمية وقيمة المفاهيم التربوية المستحدثة ووزنها مقابل مانمتلك من مفاهيم، ودورها فى تطوير الواقع التربوى العربى إجرائياً، وهى عملية تتعلق بالتقدير المبدئى الظاهرى للمفاهيم الوافدة.

- مراجعة قيمتها الظاهرة التى قدرناها ظاهرياً مقارنةً بالمفاهيم المتأصلة التى تتقارب فى معناها ودلالاتها منه؛ لبيان مدى قبولها والسماح بدخولها إلى ساحة الفكر التربوى العربى تهميداً لإخضاعها لعملية التفكيك.
- استبعاد المفاهيم الشاذة والمتطفلة أوالعلائقية التى قد تتزاحم معرفياً مع المفاهيم الوافدة مستغلة الانفتاح الثقافى والزخم المعرفى، والدفع المفاهيمى، فى حين أنها لا تصلح بتاتاً للعمل أوالتوطين فى البيئة العربية والإسلامية.

ج) مرحلـــة التفكيـــك:

هى الخطوة التالية مباشرةً بعد الانتهاء من عملية الانتقاء، وتتعلق هذه الخطوة بمسألة تفكيك المفهوم إلى عناصره الأولية تمهيداً لعملية التحليل هو مؤشر أولى هام على مدى قوة المفهوم، فالبنيان القوى للمفهوم يبدأ من قوة وانسجام عناصره، ووحداته الأولية، وسلامته التركيبية، ونقيض ذلك هو مؤشر على ضعف المفهوم من الداخل حتى لو أبدى غير ذلك من بريق وجاذبية مظهرية، وتتطلب هذه المرحلة القيام بالإجراءات التالية:

- الوقوف المبدئى على طبيعة المفهوم من الناحية التركيبية، وتحديد نوعيته من حيث البساطة والتعقيد.
- إخضاع المفهوم لعملية التفكيك إلى مفرداته أو عناصره الأولية التى تتدرج تباعاً حتى الوصول إلى نواة المفهوم الأولى؛ بمعنى الأخذ فى الاعتبار أن المفهوم قد يتشكل من عناصر وهى الأخرى تتكون من عناصر أخرى يجب تفكيكها.
- جمع التعريفات والدلالات اللغوية والاصطلاحية التى وضعت لكل عنصر على حِدا، وكذلك للمفهوم ككل تمهيداً لإخضاعها لعملية التحليل.

د) مرحلـــة التحليـــل:

التحليل هو عملية شديدة الصلة بعملية التفكيك والفصل بينهما هنا فى إطار التنظير فقط ، لكن فى التطبيق الإجرائى المعرفى لا يمكن الفصل بينهما، وعملية التحليل هنا تتم بمستويين هما: المستوى العام وهو يتعلق بتحليل المفهوم ككل، والمستوى الخاص وهو يتعلق بتحليل كل عنصر من عناصره، وتتطلب هذه المرحلة القيام بالإجراءات التالية:

- البدء بتحليل المفردات والعناصر التكوينية للمفهوم، ثم تحليل المفهوم بعد إعادة التركيب.

- العمل على استخراج الدلالات والمضامين التى ينطوى عليها المفهوم، وقواعد تفسيرها والتى قد لا تظهر من خلال الدلالات المظهرية.
- التركيز على الكشف عن عوامل الالتباس والغموض، وغيرها من العوامل الكامنة، حيث تحدد عناصر الهيمنة فى المفهوم تمهيداً لإزالتها.
- إعطاء مؤشرات هامة لقابلية التوطين من خلال تحديد الفجوات الثقافية التى يمكن سدها أثناء عملية البناء.

هـ) مرحلة إعادة التعريف (البناء التجريبى):

عملية إعادة التعريف هى عملية محورية مرنة تختلف حسب طبيعة كل مفهوم، غير أن نجاح تلك العملية يحدد مبدئياً بوضع بناء تجريبى جديد فى صورة تعريف، وتتمثل أهمية هذه الخطوة فى جمع عناصر المفهوم مرة أخرى بعد تفكيكه وتحليله، وبعد إزالة كل عوامل الالتباس والغموض، وكل ما يرتبط بعوامل الهيمنة، وكل ما لا ينسجم ومحددات الهوية وطبيعة الخصوصية، وتتطلب هذه المرحلة القيام بالإجراءات التالية:

- الاتفاق على وضع المفهوم بصورة بناء تجريبى له تعريف جديد بعد إعادة التركيب يتوافق وطبيعة البيئة التربوية العربية.
- إضافة دلالات جديدة للمفهوم تعطية البصمة الفكرية التربوية العربية مع الإبقاء على دلالاته الأصلية بعد إزالة عوامل الاغتراب عنها .
- تحديد إمكانات المفهوم نظرياً وقدراته الإجرائية فى معالجة قضايا تربوية استعدادًا لتهيئته حتى يقوم بدوره الحضارى الجديد بعد ما تم تكييفه مع شروط المعرفة التربوية.

و) مرحلـــــة التهيئـــــة:

بعد الانتهاء من عملية البناء وفق طبيعة المفهوم، ومقتضيات الحاجة المفهومية يتم تهيئة الثقافة التربوية العربية لإدماج المفهوم الجديد بعد إعادة بنائه، وتتطلب هذه المرحلة القيام بالإجراءات التالية:

- إجراء حوارات ونقاشات فكرية وثقافية وأكاديمية ودراسات علمية جادة حول المفهوم الجديد وإمكاناته التجديدية.
- تحديد نقاط التلاقى بين المفكرين حول المفهوم الجديد، وتقدير وزنها وأهميتها فى مقابل نقاط التباعد ومحاولة الوصول لحد مقبول من الاتفاق حول دلالات المفهوم.

- إجراء تقييم لقدرة الحقل المعرفى التربوى على تبنيه، وتطويره نظرياً وإجرائياً، وإعطائه السمة التربوية العربية، مع بحث معوقات تطبيقه .

ز) مرحلـــة التوطيـــن:

هى مرحلة تتعلق بتأصيل المفهوم وترسيخه فى الفكر العربى بعد وصوله لحد مقبول من الاتفاق والقبول والقناعة لدى المفكرين التربويين، بل والممارسين التربويين، وتمثله فى بنية معرفية تسمح بإندماجه بصور متجانسة مع غيره من المفاهيم فى الجهاز المفاهيمى التربوى ذات الصلة بالمفهوم الجديد وتتطلب هذه المرحلة القيام بالإجراءات التالية:

- قراءة الواقع التربوى قراءة جيدة من كافة النواحى لتحديد فرص القوة والضعف التى تواجه توطين المفهوم.
- إعداد استراتيجية واضحة الغايات تستهدف توطين المفهوم وتؤسس على رؤية واضحة لأهداف وغايات التوطين.
- البحث المستمر فى متطلبات التوطين والعمل على توفيرها قبل البدء فى تنفيذ الاستراتيجية.
- العمل على إزالة كافة المعوقات التى قد لا تسمح بعملية التوطين وتؤدى إلى جموده، وبالتالى يصعب الانتقال إلى عملية التوظيف التربوى .

ح) مرحلة التوظيف التربوى:

تتميز هذه الخطوه بدورها الواضح فى القضاء على فجوات التنظير والتطبيق من خلال إنزال المفهوم من المستوى التتنظيرى بمثاليته وتجريده إلى مستوى إجرائى واقعى، ولهذا فإن هذه الخطوة تتعلق بتفعيل علاقة المفهوم ببنية النظام التربوية وعملياته، وتتطلب هذه المرحلة القيام بالإجراءات التالية:

- الحضور الفاعل لكافة مكونات النظام التربوى (ثقافة، وادارة ، ومعلم ، وطالب ، ومنهج، وأنشطة، وتقويم) للتأكد من قدرة المفهوم وإمكاناته الإجرائية ما بعد عملية التوطين.
- العمل على توفير متطلبات توظيف المفهوم، وتذليل معوقاته حتى نطمئن أن عوامل النجاح والإخفاق فى التوظيف مرجعها المفهوم نفسه وليس لعوامل أخرى دخل فيها.
- تتبع قدرة المفهوم على تطوير الواقع التربوى وتجديد إمكاناته وحل قضاياه ومشكلاته.

- تقييم مستمر لمرحلة الحصاد التربوى للمشاريع التربوية التى تستهدف استثمار إمكانات المفهوم وقدراته الوظيفية والتجديدية .

ويجب الإشارة أن هذه المراحل البنائية جميعها تتطلب إخضاع كل خطوة وكل إجراء للنقد الموضوعى المؤَسَس على وعى تام وقراءة عميقة للشروط الحضارية المعرفية والثقافية والاجتماعية للمجتمعات العربية، ومعالم الفكر التربوى العربى الذى ستوطن فيه المفاهيم الوافدة.

٤- ضمانات نجاح الرؤية البنائية المقترحة:

يتطلب نجاح الرؤية البنائية المقترحة لتوطين المفاهيم الوافدة إلى الفكر التربوى من خلال مدخل إعادة بناء المفاهيم توفير بعض الضمانات، والتى يمكن حصر أهمها فيما يلى:

أ) إيمان الجماعة التربوية بقدرتها على بناء المفاهيم وإعادة بنائها:

يرجع الأصل فيما أصاب الفكر العربى من وهن معرفى إلى افتقار كثير من حقول المعرفة إلى ممارسات تفتقر إلى المقومات العلمية فى ضبط المفاهيم والمصطلحات وتحديدها، حيث يلاحظ بالحس النقدى عدم الاتفاق على بنية المفهوم داخل جماعة علمية واحدة، والاختلاف الواضح فى الصورة الذهنية لدى أبناء تخصص واحد تجاه مفاهيم عديدة، كما تنشب خلافات حول الدلالات المفاهيمية والمعانى الجوهرية حيث يجب الاتفاق. (نافع، ٢٠١٤،١١)، لذا يجب أن تسهم شبكة العلاقات المتخصصة علمياً داخل أى حقل، وكذلك العلاقات الثقافية والفكرية الباحثة فى إثراء المعنى الدلالى لأى مفهوم، أوخلق مفاهيم جديدة تعبر عن حراكها الإنسانى العام، وكذلك النقاش والجدل الموضوعى حول أى مفهوم قائم أو مقترح أو وافد .(آل حبيل،٢٠٠١، ١٠٠)

وهوما يتطلب توجيه وتنمية وعى الجماعة التربوية بأهمية المفاهيم التربوية كأساس للفعل والتطوير والتجديد التربوى، وتوسيع ورؤيتها النقدية للمفاهيم، وتطوير التعامل مع المفاهيم الوافدة التى تحمل دلالات جدلية ومضامين خفيه، كما يجب التأكيد على أن تطوير قدرات الجماعة التربوية وحدها غير كافي لإنجاز هذه المهمة، إذ لابد من توافر سياق اجتماعي وتربوى ناقد ومهيىء لقبول النقد، ذلك أنه كلما ازدادت عوائق التوجه النقدى عجزت الجماعة التربوية عن تحقيق الأهداف المنوطة بإعادة بناء المفاهيم وتوطينها، وبالتالي تزداد المخاطر التى تحيط بالفكر التربوى، وخاصة ما يتعلق منها بالهوية والخصوصية الثقافية. وعليه آن الأوان لتجاوز الإنتاج التربوى المبنى على ثقافة التبعية والاستلاب الثقافى والانسياق وراء

المفاهيم المستحدثة دون وعى، والاستقرار فى فضاء تربوى نقدى عقلانى تنويرى منفتح يضمن الانسجام بين التربية والثقافة القومية والعالمية وهى مهمة بارزة تنتظر الجماعة التربوية .

ب) إعادة بناء المفاهيم التربوية وفق منهجية علمية تربوية متفق عليها كمرجعية:

بعيدًا عن جدلية المفهوم وإشكالاته النظرية والمنهجية فإنه لا ينبغى الاكتفاء بجدل نظرى حول منظومة متباينة إلى حد التناقض بين العناصر والمقومات والممارسات المشكلة للمفهوم والإغراق بالبحث عن الفواصل والنقاط وما يعقبها أو يتصل بها من سيل الاجتهادات المرتبطة ذاتياً وموضوعياً باختلاف الثقافات والمدارس الفكرية، بل إن منهجية المحاكاة تقتضى تحديد مقومات المفهوم ببعده الثقافى البيئى، وما يفرزها من خصوصية، وبناء منهجية علمية يحتكم إليها كأداة تفكير تقارع المسلمات وتسحق موروث تربوى آن له أن يتجدد .(كامل، ٢٠٠٣، ١٠)

ولتجاوز إشكالية المفاهيم والبؤس المنهجى فى الدراسات التربوية العربية، يجب تقديم المفاهيم فى سياق علمى وعلى أساس منهجى يؤدى الغاية فى اتجاه إزالة مظاهر الغموض التى تعانى منها الدراسات فى هذا الميدان التربوى، ويأخذ بعين الاعتبار السياق التاريخى للمفهوم والتتابع المنطقى لحركته، ويراعى المتطلبات المنهجية بعيداً عن مظاهر المبالغة فى استعراض التعريفات المقدمة للمفهوم. (وطفة ، ٢٠٠٣، ١٥٤)

وهو ما يستلزم – بالتأكيد– بناء منهجية علمية يمكنها أن تخرج المفهوم من دوائر الغموض التى تحيط به عبر دراسة منهجية واضحة ومحددة تستهدف إعادة البناء، وتنتهى بوضعه فى رؤية فلسفية جديدة نابعة من السياق العربى، فإعادة بناء المفاهيم وتوطينها تقتضى تجديداً فى الأسس النظرية والفكرية بما يتوافق مع السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية للبيئة الحاضنة. ولذلك ينبغى أن تقوم تلك المنهجية وتؤسس لليقظة الفكرية المتكاملة نحو ما يجد من مفاهيم على أن تكون منهجية يقظة متجددة استيعابية غير جامدة أو منعزلة .

ج) تشجيع البحوث الفلسفية المعنية بتحليل المفاهيم التربوية:

لقد بات ظاهرياً أن البحوث الفلسفية التربوية لا تلقى إقبالاً من جانب باحثى التربية، قد يكون ذلك نابع من صعوبة تناولها، واحتياجها لعقلية من نوع خاص، وهى العقلية التأملية الناقدة صاحبة الرؤية الموسوعية، والثقافة المتجددة.(حسينى، ٢٠٠٥ ، ١٠٧– ١٠٨) لذا لزم

الأمر العمل على إعادة تكوين الميول البحثية نحو هذا المجال الهام الذى تنبع أهميته من قدرته على فهم الواقع وتقديم رؤية واضحة لتوضيحه وتصديها لقضية شائكة ومعقدة هى قضية المفاهيم.

وانطلاقاً من الدور الذى يؤديه البحث فى فلسفة التربية فيما يتعلق بتحليل المفاهيم من أن معظم المفاهيم يشوبها كثير من الغموض، والمهمة الرئيسية للباحث فى فلسفة التربية تتمثل فى محاولة إزالة اللبس والغموض المحيط بالمفاهيم عن طريق تتبع المجال الأصلى الذى نشأ فيه هذا المفهوم وتطوره حتى وقتنا الحاضر، وهو إذ يحلل هذا المفهوم أو ذاك إنما يحلله تحليلاً اجتماعيًا وظيفيًا فى إطار ثقافى متطور. الأمر الذى يمكن من رؤية مضامين جدية كانت خافية أو ملتبسة أو غامضة بالنسبة لنا قبل أن تضطلع بحوث فلسفة التربية بتحليلها. (النشار، ٢٠١٨، ٦٠- ٦٤)

وعليه وفى ضوء التطورات العالمية المعاصرة والثورات العلمية المرتبطة بها، ومع اتساع المجال لبروز مفاهيم ومصطلحات جديدة تحمل صفة العالمية، قد تدفع لتغيير بنية الفكرالتربوى المعاصر، وتغير من الذهنية التربوية التقليدية إلى مفاهيم وصيغ جديدة غير منتجة محلياً، تأتى الحاجة لتشجيع البحث الفلسفى التربوى ودفع قدرته على التصدى لكافة هذه القضايا والمفاهيم والقيم الجديدة التى تحملها، حتى يمكنه أن يعيد صياغة كثير من المفاهيم التى تؤسَس عليها الممارسات التربوية، وتبنى عليها خطط التطوير.

د) تنمية العقلية الناقدة للباحثين التربويين فى مقابل العقلية الناقلة: تجديد رؤيتهم الموسوعية

تكتسب المفاهيم أهمية قصوى في عملية البحث الاجتماعي بصفة عامة والتربوى بصفة خاصة، وعلى الباحث التربوى أن يحدد المفاهيم بدقة متناهية، ذلك أن العديد من المفاهيم – قد يكون لها أكثر من معنى أو يُعطى لها تفاسير مختلفة، وقد يكون لبعض المفاهيم دلالة فى المجتمعات الديمقراطية مثلاً تختلف عن دلالتها في المجتمعات ذات الحزب الواحد والأنظمة الديكتاتورية، وعلية فإن الأمر يحتاج لباحثين جادين لديهم ذهنية ناقدة وقدرة على بناء رؤية موضوعية يستطيعون من خلالها تجاوز عمليات النقل غير الواعى أو المتحيز للمفاهيم.

وقد طُرحت بعض التوجيهات التى تساعد الباحث الاجتماعى والتربوى إلى الوصول إلى بناء دقيق للمفاهيم التى يستعملها فى بحثه من أهمها: الرجوع الى أصول المفاهيم وتطورها

البنائي من خلال تحليل ونقد التعريفات التاريخية والمعاصرة للمفهوم والتى تتبدل من وقت لآخر؛ لأنها مرتبطة بالسلوك الإنسانى سريع التبدل والتطور، وعزل العناصر المشتركة والمتفق عليها فى أغلب التعريفات، وبناء تعريف مبدئى يتضمن المعنى الذى تجمع عليه التعريفات، ثم إخضاع المفهوم للنقد الصارم للتأكد من صلاحيته ودقته، وإدخال تعديلات نهائية بناء على الانتقادات الموجهه إليه، والباحث فى خطواته هذه وعند تحديد وتفسير المفهوم عليه توخى الإيجاز دون إخلال المعنى، وأن يكون التفسير معبراً بدقة عن المفهوم، ويمكن للباحث أن يعرف المفهوم تعريفاً بنائياً بتبيان الخضائص البنائية التى يتكون منها، أو تعريفاً وظيفيًا بإبراز الدور الاجتماعى الذى يؤديه. (ابراش، ٢٠٠٩، ٢٣٥- ٢٣٧)

هـ) الوعى بالأبعاد الاجتماعية والثقافية للمفاهيم التربوية المستحدثة:

يشير (على؛ وفرج، ٢٠٠٨، ٢٠٨) إلى "أن المفاهيم على المستوى الثقافى والاجتماعى تمثل دورًا شبيهًا بدور العملة النقدية، فكما أننا في عالم البيع والشراء والتعامل اليومي نتعامل وفق عملة نقدية لها مقدارها المتفق عليه في كل مجتمع، بحيث إذا اضطرب هذا المقدار وتباينت التقديرات لها واختلفت اضطرب ميزان الحياة الاقتصادية والاجتماعية، حتى أنه قد يصل إلى درجة الانهيار، كذلك نحن نتعامل في العلاقات الفكرية، مهما بسطت مستوياتها وأطرافها، بعملة مفاهيمية".

وعليه يجب الالتفات جيداً إلى ضرورة الوعى بالأبعاد الثقافية والاجتماعية للمفاهيم الوافدة المستحدثة، وكذلك الوعى بالأبعاد الاجتماعية والثقافية للبيئة محل التوطين قبل وضع المفهوم فى سياقه الجديد، حتى إذا ما اطمئننا إلى نزع ثوبه الأصلى الذى قدم إلينا مرتدياً إياه استطعنا إلباسه ثياباً جديدة تلائم سياقاتنا المجتمعية حتى يمكن الاطمئنان إلى تجانس المفهوم وانسجامه مع غيره من المفاهيم التى تحمل دلالات ذا صلة أثناء عمليات التوطين فى بيئة معرفية مهيئة للإنبات المعرفى القائم على بذور مفاهيمية صالحة بالمعنى التربوى العربى.

و) إعطاء أهمية خاصة للبعد اللغوي والدلالات اللغوية فى عملية البناء المفاهيمى:

عندما يتعلق الأمر ببناء المفاهيم أو إعادة بناءها فإنه ينبغى على المشتغلين فى هذا الإطار الأخذ بعين الاعتبار الفروقات الجوهرية الموجودة بين الألسن الطبيعية والمجالات التداولية، ومتى أدركت هذه المقتضيات مع مراعاة صلته بمجاله التداولى العربى، انفتحت

إمكانات استثمار المفاهيم، وتغلبت إمكانات تجاوز الأنظمة المفاهيمية الغربية على مجريات الاتباع، إذ أن تأصيل المفاهيم مرهون بتأصيلها اللغوى وسياقها التداولى العام .(ابن دنيا، ٢٠١٧، ١٤٨)

فاللغة لها دور فاعل في بيان الدلالة التأويلية والاستعمالية فهي كدلالة يتم تحصيلها من خلال عدة معطيات منها: طبيعة استعمال الألفاظ عبر تحديد مدى علاقة اللفظ والدلالة ، من هنا تبرز أهمية إدراك واستيعاب الأصول اللغوية للتأويل، لأن التأويل منزلق خطير حيث يتعلق بدلالة الألفاظ وطبيعة الألفاظ باللغة العربية التى تتغير محورية دلالتها من خلال الأساليب التي تستخدم بها، ولهذا النهج عدة غايات أبرزتها دراسة (المحمداوى ،١٤٣١هـ ، ١٤٠- ١٤٣) نذكر منها:

- بيان مدى المساحة التي شغلتها اللغة العربية ومفرداتها في الفكر الذي نهض في بناء الحضارة العربية بأبعادها الإنسانية على مستوى العلم والمعرفة من خلال الاهتمام بهما.
- الوقوف على جديد المفردات وطبيعة توظيفها وما أفرزته من تطور على مستوى الدلالة والاشتقاق.
- دراسة تحليلية وفهم معمق للعلاقة التي تربط المفردة اللغوية الجديدة ومقتضياتها الذاتية والاستعمالية.
- تطوير المساهمة اللغوية في رفد الساحة العلمية على مستوى المباني العقلية والتحليلات المنهجية والمعرفية من خلال فتح بوابة للاسهام في وضع الدراسات المعجمية والمعرفية والعلمية، وتوظيف أدق لمفردات اللغة ومعطياتها في بناء المفاهيم العلمية في كافة تشعبات العلوم الإنسانية والطبيعية.
- تطوير أصول منهجية أو منهجية مستقلة للبحوث والدراسات اللغوية متعلقة بالمفردة اللغوية لبناء هيكليتها المعرفية والعلمية مع مراعاة المؤثرات الزمانية والمكانية.

خـــاتمـــة:

إن الهدف من هذه المحاولة البحثية هو فتح النقاشات والاجتهادات حول القضايا المفاهيمية الجدلية، بعدما تفاقم الارتباك الفكرى فى المجال التربوى؛ نتيجة ما يعانيه من سوء ضبط المفاهيم وضعف التوجه نحو إعادة بنائها فى هذا الميدان المؤثر والفاعل فى كافة المجالات الأخرى ، خاصةً مع الاتفاق على أن الهدف الاجتماعى الأساسى للتربية هو استمرار إعادة الفحص والبناء للمفاهيم والأفكار والآراء التى يؤسس عليها نظرياته التربوية واجراءاته العملية بما يحقق التجديد الفكرى التربوى النابع من مراجعة الذات والآخر.

المـــراجـــــع

أولا: المراجع العربية

١- ابراش، ابراهيم (٢٠٠٩): المنهج العلمى وتطبيقاته فى العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.

٢- ابن دنيا، سعدية سعاد(٢٠١٧): الأبعاد التجديدية لمشروع إنتاج المفاهيم وبنائها عند المفكر طه عبد الرحمن، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، السنة(٢٤)، العدد(٩٤).

٣- ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤هـ): لسان العرب، المجلد السادس عشر، دار صادر، بيروت.

٤- أبو حشيش، بسام (٢٠١٠): دور كليات التربية فى تنمية قيم المواطنة لدى الطلبة المعلمين بمحافظات غزة، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، عمادة البحث العلمى بجامعة الأقصى، المجلد(١٤)، العدد(١).

٥- أبو راس، محمد أحمد العجيل؛ والصابرى، عبد الرحمن بشير(٢٠١٧): وسائل وطرق بناء المصطلحات "دراسة وصفية تحليلية"، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراته، ليبيا، العدد(٩).

٦- أبو عليوة، نهلة سيد(٢٠١٧): أفكار حول المواطنة العالمية(الكوكبية)، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربى للطفولة والتنمية، القاهرة، المجلد(٨)، العدد(٢٩).

٧- الأحمدى، عائشة سيف صالح(٢٠١٢): مستوى الوعى بقضايا التربية على المواطنة العالمية لدى طلبة كليات التربية بالجامعات السعودية، مجلة رسالة الخليج العربى، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، الرياض، السنة (٣٣)، العدد (١٢٤).

٨- الإدريسى، رشيد علمى(٢٠٠٤): العولمة والمفهوم الجديد للمواطنة، أعمال الندوة الوطنية "المواطنة وحقوق الإنسان بالمغرب"، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، مركز الدراسات والأبحاث الدولية، مراكش، المغرب.

٩- اسكاروس، فيليب(٢٠١٥): تكامل باترونات التبادل الثقافى (النماذج القابلة للتطبيق) لمواجهة مأزق القيم الكونية ، المؤتمر القومى السنوى التاسع عشر(العربى الحادى عشر) " التعليم الجامعى العربى وأزمة القيم فى عالم بلا حدود"، فى الفترة من ١٦-١٧سبتمبر، مركز تطوير التعليم الجامعى، جامعة عين شمس، القاهرة.

١٠-اسماعيل، سيف الدين عبد الفتاح(٢٠٠٨): مقدمة أساسية حول عملية بناء المفاهيم ، فى: فى: إبراهيم البيومي غانم؛ وأخرون: بناء المفاهيم- دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، الجزء الأول، المعهد العالي للفكر الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

١١-آل حبيل، ذاكر(٢٠٠١): المسائل الحضارية: استراتيجية بناء المفاهيم لكى لا يهرب المستقبل من بنية خطابنا، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، السنة(٨)، العدد(٣٣).

١٢-الأهدل، انشراح بنت على بن أحمد(١٤٣٦هـ): دراسة تحليلية ناقدة للمصطلحات الفكرية الحادثة فى ضوء التربية الاسلامية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية.

١٣-باروت، محمد جمال (٢٠٠٤): ديناميات التغير الثقافى العربى فى سياق إعادة تشكيل النظام العالمى، مجلة شئوون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، العدد(١١٨).

١٤-بالابانوڤا، اكاترينا Ekaterina Balabanova (٢٠١٧): الإعلام وحقوق الإنسان، ترجمة: عاصم سيد عبد الفتاح، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة

١٥-بدوى، أحمد زكى(١٩٩٣): معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (انجليزى- فرنسى- عربى)، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت.

١٦-البرهومى، رمضان (٢٠١٥): كونية المواطنة والتنوع الثقافى، أشغال الندوة الوطنية: المواطنة بين الأصالة والعولمة، دار الكتب الوطنية ومركز مسارات للدراسات الفلسفية والإنسانيات، ومؤسسة هانس زيدال، تونس.

١٧-البقمى، سعود بن سعد(١٤٣٠هـ) : نحو بناء مشروع تعزيز الأمن الفكرى بوزارة التربية والتعليم، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري: المفاهيم والتحديات، المنعقد في٢٣ – ٢٥ جمادى أول، كرسى الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكرى، جامعة الملك سعود، الرياض.

١٨-بك، أولريش(٢٠٠١): هذا العالم الجديد: رؤية مجتمع المواطنة العالمية، ترجمة : أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا.

١٩-بليل، عبد الكريم (٢٠١٦): مختصرالمفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة فى القرآن الكريم، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، هرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

٢٠-بنساسي، محمد(٢٠٠٥): مقومات تجديد الفكر العربى، أعمال ندوة التنوير والتسامح وتجديد الفكر العربى، المجمع التونسى للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، ووزارة الثقافة والمحافظة على التراث، تونس.

٢١-البوشيخى، عز الدين (١٩٩٣): دور المصطلحات والمفاهيم فى بناء العلوم الاسلامية، أعمال الندوة الدولية " الدراسة المصطلحية والعلوم الاسلامية"، المنعقد فى ٢٣-٢٥ نوفمبر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس بفاس، المغرب .

٢٢-البيلاوى، حسن(١٩٩٣): ندوة "النظرية النقدية والبحث التربوي"، مجلة التربية المعاصرة، رابطة التربية الحديثة، القاهرة، العدد (٢٧)، السنة (١٠).

٢٣-تركى، عبد الفتاح (١٩٩٣): نحو فلسفة تربوية لبناء الإنسان العربى، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية .

٢٤-تريكى، مبارك (٢٠١٠): المفاهيم المعاصرة ومخاطرها على الهوية الإسلامية، حصائل الأعمال العلمية للملتقى الوطنى الأول حول" دور العلوم الإسلامية فى إرساء الهوية ومواجهة التحديات المعاصرة"، جامعة عمار ثليجى بالأغواط والمديرية العامة للبحث العلمى والتطوير التكنولوجى، الجزائر.

٢٥-توفيق، صلاح الدين محمد؛ موسى، هانى محمد يونس (٢٠٠٧): اتجاهات الخطاب التربوي فى مجلة كلية التربية ببنها "دراسة فى سياق بناء وإنتاج المعرفة التربوية"، مجلة كلية التربية ببنها، المجلد(١٧)، العدد (٧١) .

٢٦-تويج، وسام حسن فليح (٢٠١٧): نقد المفاهيم المبهمة والملتبسة في الفكر العربي المعاصر، مجلة آداب الكوفة، كلية الآداب، جامعة الجوفة، العراق، مجلد(١٠)، عدد(٣١).

٢٧-جبر، نهلة محمد أحمد(٢٠١٥): الأمن الثقافى"مفهومه، دواعيه، عوامل تحقيقه"، مجلة شئون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، العدد(١٦٩).

٢٨-جعفر، هشام(٢٠٠٨): بناء المفهوم بين التقويض والتشغيل، فى: إبراهيم البيومي غانم؛ وأخرون : بناء المفاهيم- دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، الجزء الأول، المعهد العالي للفكر الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

٢٩-جيدورى، صابر بن عوض(٢٠١٢): تنمية قيم المواطنة العالمية لدى طلبة المرحلة الجامعية، مجلة شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعيين، الإمارات، المجلد(٢٩)، العدد(١١٦).

٣٠-الجيزاوى، داليا (٢٠١٧): المواطنة العالمية وآفاقها المستقبلية فى الوطن العربى، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربى للطفولة والتنمية، القاهرة، المجلد(٨)، العدد(٢٩).

٣١-الحاج، أحمد إدريس الطعان(٢٠١٣): المفاهيم النبوية و أبعادها التربوية : دراسة تحليلية، مجلة الشريعة الدراسات الإسلامية، مجلس النشر العلمى بجامعة الكويت، المجلد(٢٨)، العدد(٩٣).

٣٢-الحاج، أحمد على(٢٠٠٣): أصول التربية، دارالمناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٣٣-حسينى، صلاح الدين محمد (٢٠٠٥): تعزيز دورالبحث الفلسفى التربوى فى تطوير نظام التعليم المصرى، مجلة مستقبل التربية العربية، المركز العربى للتعليم والتنمية، المجلد(١١)، العدد (٣٦).

٣٤-الحمد، تركى(٢٠٠٠): الثقافة العربية فى عصر العولمة، دار الساقى، بيروت .

٣٥-حمدان، سعيد بن ناصر(٢٠٠٨): دورالأسرة فى تنمية قيم المواطنة لدى الشباب فى ظل تحديات العولمة "رؤية اجتماعية تحليلية"، مؤتمر" الأسرة السعودية والتغيرات المعاصرة، الجمعية السعودية لعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، المنعقد فى ١٠-١٢ مايو، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض.

٣٦-خذارية، ياسين (٢٠١٧): إشكالية المواطنة والتربية فى المجتمع الجزائرى، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد (٢٣).

٣٧-خرازى، عزيزة (٢٠١٨): إشكالية المفاهيم فى العلوم الإنسانية: مفهوم الصحة نموذجاً، أشغال المؤتمر السنوى"المفاهيم فى العلوم الإنسانية"، المنعقد فى ١٦- ١٧ فبراير، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس، المغرب.

٣٨-الخليفة، عمر هارون(٢٠١١): آفاق توطين علم النفس فى العالم العربى، سلسلة الكتاب الإلكترونى، عدد(٢٠)، جزء(١)، إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، مؤسسة العلوم النفسية العربية، تونس.

٣٩-خوانى، أحمد عماد الدين (٢٠٠٥): أزمة الممارسة السوسيولوجية: مقاربة ابستمولوجية من أجل إعادة بناء المفاهيم، مجلة عالم التربية، منشورات عالم التربية، المغرب، العدد(١٦).
٤٠-دروش، فاطمة(٢٠١٤): المواطنة والهوية والثقافات المحلية فى ظل إفرازات النظام العالمى الجديد، مجلة دفاتر البحوث العلمية، المركز الجامعى مرسلى عبد الله بتيبازة، الجزائر، العدد(٤).
٤١-درويش، محمد أحمد(٢٠٠٩): العولمة والمواطنة والانتماء الوطنى، عالم الكتب، القاهرة.
٤٢-دغبار، رضا(٢٠١٧): إشكالية التحيز فى وضع وترويج المصطلحات والمفاهيم التاريخية "الصراع الفلسطينى الإسرائيلى نموذجاً"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد(١٢) .
٤٣-دياني، مراد(٢٠١٧): فى التأصيل المصطلحى العربى لمفاهيم العلوم الاجتماعية المعاصرة "أهل الممارسة مثالاً"، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، العدد (٢٠).
٤٤-الرباح، عبد اللطيف بن عبد العزيز(٢٠١٧): المبادرات العالمية الرائدة والتجديدات فى تربية المواطنة والإفادة منها فى المملكة العربية السعودية، مجلة البحوث الأمنية، السعودية، المجلد(٢٦)، العدد(٦٦).
٤٥-الربيعى، إسماعيل نورى(١٩٩٩): تفكيك المفهوم التاريخى وإعادة تفسيره، مجلة شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعيين، الإمارات، المجلد(١٦)، العدد (٦٤).
٤٦-زاهد، عبد الأمير كاظم(٢٠١٠): فى مفهوم الهوية الوطنية: إعادة التشكيل وفق رؤية إسلامية، مجلة ثقافتنا، دائرة العلاقات الثقافية العامة، وزارة الثقافة، العراق، العدد(٨) .
٤٧-زبون، ناهدة محمد(٢٠٠٩): مفهوم المواطنة فى الفكر السياسى المعاصر "دراسة فى المفهوم والأبعاد"، حولية المنتدى، المنتدى الوطنى لأبحاث الفكر والثقافة، وزارة التعليم والبحث العلمى، العراق، المجلد(٣)، العدد(٢).
٤٨-زيانى،عبد الغنى(٢٠١٨): المفاهيم فى علم الاجتماع: سؤال البناء والمنهج ، أشغال المؤتمر السنوى" المفاهيم فى العلوم الإنسانية، المنعقد فى ١٦-١٧ فبراير، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، فاس، المغرب .
٤٩-السروجى، طلعت مصطفى(٢٠١٠): الخدمة الاجتماعية الدولية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٥٠-شبار، سعيد (١٤٢١ هـ): المصطلح:خيار لغوى ... وسمة حضارية، سلسلة كتاب الأمة، السنة (٢٠) العدد(٧٨)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، قطر.
٥١-شعيشع، آمال عبد الفتاح محمد(٢٠١٦): التربية العالمية مدخلاً لتعزيز الهوية الوطنية، واقعية التأصيل وآليات التفعيل "دراسة تحليلية"، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، المجلد(٣٢)، العدد الأول.
٥٢-الشيبانى، مصباح (٢٠١٥): انتكاسة المواطنة فى ظل العولمة، أشغال الندوة الوطنية: "المواطنة بين الأصالة والعولمة"، دار الكتب الوطنية ومركز مسارات للدراسات الفلسفية والإنسانيات ومؤسسة هانس زيدال، تونس.
٥٣-الصاعدى، تهانى بنت محمد براك(١٤٣٥هـ): دور التربية الإسلامية فى مواجهة المفاهيم التغريبية الوافدة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية.
٥٤-الصائغ، بان غانم أحمد(٢٠٠٩): التأصيل التاريخى لمفهوم المواطنة، مجلة دراسات إقليمية، مركز الدراسات الاقليمية، كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، مجلد(٥)، العدد(١٣) .
٥٥-صليبا، جميل(١٩٨٢): المعجم الفلسفى، الجزء(٢)، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، لبنان.
٥٦-الطراف،عبد الوهاب(٢٠١١): طروحات حول المواطنة، مجلة رهانات، مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية، المغرب، العدد(٢٩) خريف.
٥٧-العاترى، على سلطانى(١٤٧٣هـ): الإعلام الإسلامى: إشكالية المصطلح، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، السنة(٥)، العدد(٩).
٥٨-عارف، نصر محمد (٢٠٠٨): الحضارة . الثقافة. المدنية "دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم" فى: إبراهيم البيومي غانم؛ وآخرون: بناء المفاهيم- دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، الجزء الأول، المعهد العالي للفكر الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.
٥٩-العالم، النعمى السائح (٢٠١٦): التأصيل المعرفى لمفهوم القومية، مجلة الجامعى، النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس الجامعى، ليبيا، العدد(٢٤).
٦٠-العامر، عثمان بن صالح (٢٠٠٣): المواطنة فى الفكر الغربى المعاصر "دراسة نقدية من منظور إسلامى، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانون، سوريا، المجلد (٩)، العدد(١) .

٦١- عبد الحق، صلاح اسماعيل (٢٠٠٨): توضيح المفاهيم ضرورة معرفية، فى: إبراهيم البيومي غانم؛ وآخرون : بناء المفاهيم- دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، الجزء الأول، المعهد العالي للفكر الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

٦٢- عبد العال، حسن إبراهيم(٢٠١٠): أزمة المصطلح والانزياح الدلالى فى المعرفة التربوية "مصطلح الخطاب التربوى نموذجاً"، المؤتمر العلمى الثانى عشر" حال المعرفة التربوية المعاصرة "مصر أنموذجاً"، فى الفترة من ٢-٣ نوفمبر، كلية التربية، جامعة طنطا، بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة.

٦٣- عبد العال، حسن إبراهيم(٢٠١٣): مقومات بناء فلسفة تربوية عربية متميزة، المؤتمر العلمى الدولى الأول" رؤية استشرافية لمستقبل التعليم فى مصر والعالم العربى فى ضوء التغيرات المجتمعية المعاصرة، المنعقد فى ٢٠-٢١ فبراير، كلية التربية جامعة المنصورة، بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية.

٦٤- عبد الفتاح، سيف الدين(٢٠٠٧): التربية المدنية: دراسة فى المفهوم بين العالمية والخصوصية "كيف نتعامل مع المفاهيم الوافدة"، مجلة المسلم المعاصر، جمعية المسلم المعاصر، القاهرة، مجلد(٣١)، عدد(١٢٣) .

٦٥- عثمان، فكار؛ وبرادعى غنية (٢٠١٧): جدلية العلاقة بين البنية الاجتماعية والبنية المعرفية في الخطاب التربوي، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا، العدد (١).

٦٦- العجيل، سالم أحمد(٢٠١٥): العولمة والمواطنة ،مجلة الجامعى، النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس الجامعى، ليبيا، العدد(٢٢).

٦٧- العدنانى، محمد(١٩٨٩): معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، ط٢، مكتبة بيروت، بيروت.

٦٨- العدوان، زيد سليمان؛ وبنى مصطفى، فضية محمود(٢٠١٥): أثر برنامج تدريبى فى تنمية مبادىء المواطنة العالمية لدى معلمى التاريخ فى الأردن، مجلة دراسات- العلوم التربوية، عمادة البحث العلمى، الجامعة الأردنية، المجلد(٤٢)، العدد(١).

٦٩- العربى، فاروق(٢٠١٠): التداعيات عبر قومية للعولمة نحو مواطنة عالمية، دراسات استراتيجية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، العدد(١٢).

٧٠- عريقات، أحمد يوسف؛ وآخرون(٢٠١١): المفاهيم الإدارية الأساسية " النظرية والتطبيق، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان.

٧١-العلوانى، رقية طه جابر(٢٠١٦): قراءة فى جدلية المصطلحات والمفاهيم الوافدة "قضية المرأة نموذجاً "،مجلة أصول الدين، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الأسمرية، ليبيا، العدد(١) .

٧٢-العلوانى، طه جابر (٢٠٠٨) المقدمة، فى: إبراهيم البيومي غانم؛ وأخرون : بناء المفاهيم- دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، الجزء الأول، المعهد العالي للفكر الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

٧٣-على، سعيد اسماعيل(١٩٨٦): الفكر التربوى العربى الحديث، سلسلة عالم المعرفة، العدد(١١٣) المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

٧٤-على، سعيد اسماعيل (١٩٩٥): فلسفات تربوية معاصرة، سلسلة عالم المعرفة، العدد (١٩٨)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

٧٥-على، سعيد اسماعيل(٢٠٠٠): الأصول الفلسفية للتربية، دار الفكر العربي، القاهرة .

٧٦-على، سعيد اسماعيل؛ وفرج، هانى عبد الستار (٢٠٠٨): فلسفة التربية "تأصيل وتحديث"، المعهد العالمى للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

٧٧-العمارى، الصديق الصادقى(٢٠١٤): التربية على المواطنة وحقوق الإنسان: مشروع تكوين مواطن الغد، مجلة علوم التربية، المغرب، العدد(٥٩).

٧٨-عمر، السيد(٢٠١٦): دور العلاَّمة طه العلوانى فى بناء المفاهيم، ندوة " طه جابر العلوانى- السيرة والمسيرة"، المنعقدة فى ١٩ أبريل، مركز الدراسات المعرفية، القاهرة.

٧٩-عنانى، مصطفى عبد الحميد حسن(٢٠٠٨): تفعيل دور الأنشطة الطلابية بكليات التربية فى تنمية قيم المواطنة العالمية" دراسة حالة بجامعة قناة السويس"، مجلة التربية المعاصرة، رابطة التربية الحديثة، القاهرة، السنة(٢٥)، عدد(٧٩).

٨٠-عياد، شكرى(١٩٨٩): الإنسانية والعالمية، مجلة أدب ونقد، حزب التجمع، القاهرة، مجلد(٦)، عدد(٤٨).

٨١-غربى، على(١٩٩٩): أهمية المفاهيم فى البحث الاجتماعى بين الأطر النظرية والمحددات الواقعية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتورى، قسطنطينة، الجزائر، العدد(١١).

٨٢-قدور، نجاح(٢٠١٠): المواطنة وحقوق الإنسان "وجهة نظر إسلامية"، بحوث المؤتمر العلمى "المواطنة فى عالم متغير"، المنعقد فى ٢٨-٣٠ مارس، كلية الآداب، جامعة بنى وليد، ليبيا.

٨٣-قنديل، عبد الناصر (٢٠٠٨): المواطنة بين المفهوم والتحديات "رؤية مدنية"، مجلة أدب ونقد، حزب التجمع، القاهرة، مجلد(٢٤)، عدد(٢٨٠).

٨٤-كامل، صلاح(٢٠٠٣): التربية المدنية: إشكالية المفهوم ومعيقاته العملية فى المجتمع الفلسطينى، وقائع ورشات العمل حول "الإطار المفاهيمى للتربية المدنية"، مركز إبداع المعلم، رام الله ، فلسطين .

٨٥-الكوارى، على خليفة (٢٠٠١): مفهوم المواطنة فى الدولة اديمقراطية، مجلة المستقبل العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، المجلد(٢٣)، العدد(٢٦٤).

٨٦-الكيالى، عبد الوهاب؛ وآخرون(١٩٩٣): موسوعة السياسة، طبعة(٣)، جزء(٦)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت .

٨٧-اللويحق، عبد الرحمن بن المعلا(١٤٣٠هـ): بناء المفاهيم ودراستها فى ضوء المنهج العلمى "مفهوم الأمن الفكرى أنموذجاً"، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري: المفاهيم والتحديات، المنعقد في٢٣ – ٢٥ جمادى أول، كرسى الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكرى، جامعة الملك سعود، الرياض.

٨٨-المحجوب، مريم الصادق(٢٠١٥): فكرة المواطنة العالمية عند الرواقيين وأثرها فى الفكر المعاصر، المجلة الليبية للدراسات، دار الزاوية للكتاب، ليبيا، العدد(٨).

٨٩-محمد، خالد عبد الفتاح (٢٠١٢): بناء المفاهيم وإشكالية دلائل المصطلحات فى تفاعل المستفيدين مع نظم استرجاع المعلومات، أعمال المؤتمر الثالث والعشرون للاتحاد العربى للمكتبات والمعلومات " الحكومة والمجتمع والتكامل فى بناء المجتمعات المعرفية العربية" المنعقد فى ١٨-٢٠ نوفمبر، وزارة الثقافة والفنون والتراث، والاتحاد العربى للمكتبات والمعلومات، الدوحة، قطر، المجلد (٣).

٩٠-المحمداوى، على العلَى(١٤٣١هـ): نظرية العلم والمعرفة فى القرآن الكريم، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، وزارة التعليم العالى، طهران، السنة (١٣)، العدد(٢).

٩١-محمود، خالد صلاح حنفى (٢٠١٨): دور الجامعات العربية فى تربية المواطنة فى ضوء بعض الاتجاهات العالمية المعاصرة، مجلة دراسات فى علوم التربية، كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر، المجلد الأول، العدد (٤).

٩٢-المنجد فى اللغة والأعلام (٢٠٠٨): من الصاد إلى الياء، ط(٤٣)، دار المشرق، بيروت.

٩٣-مهناوى، أحمد غنيمى(٢٠٠٨): تربية المواطنة بين خصوصية الهويةوهيمنة العولمة "دراسة تحليلية ناقدة"، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، المجلد (١٨)، العدد(٧٥).

٩٤-الموسوعة العربية العالمية(١٩٩٩): الطبعة(٢)، المجلد (٢٤)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض .

٩٥-ناطورية، علاء الدين(٢٠٠١) : العولمة وآثرها فى العالم الثالث: التحدى والاستجابة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن .

٩٦-نافع، عبد المنعم محمد(٢٠١٤): الإشكاليات الإبستمولوجية فى بنية العقل العربى وتداعياتها التربوية، مجلة دراسات تربوية ونفسية، كلية التربية -جامعة الزقازيق، العدد(٨٣).

٩٧-نبيه، محمد صالح (٢٠٠٢): المستقبليات والتعليم، موسوعة التعليم فى عصر العولمة (١)، دار الكتاب المصرى، القاهرة .

٩٨-نجيب، كمال(١٩٩٧): "المنهج النقدى"، فى: محمد عبد الظاهر الطيب؛ وآخرون: مناهج البحث فى العلوم التربوية والنفسية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٩٩-النحراوى، السيد صبحى(٢٠١٦): التنظير للمصطلح فى الخطاب التربوى الإسلامى، مجلة دراسات فى التعليم الجامعى، مركز تطوير التعليم الجامعى، جامعة عين شمس، العدد(٣٢).

١٠٠- النشار، مصطفى (٢٠١٨): الفلسفة التطبيقية وتطوير الدرس الفلسفى العربى، روابط للنشر وتقنية المعلومات، القاهرة.

١٠١- نصار(أ)، سامى محمد(٢٠١٦): التربية من أجل المعرفة والاختلاف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

١٠٢- نصار(ب)، ناصيف(٢٠١٦): تصورات الأمة المعاصرة: دراسة تحليلية لمفاهيم الأمة فى الفكر العربى الحديث، ط٣، المركز العربى للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت.

١٠٣- النقيب، عبد الرحمن؛ والميمان بدرية صالح(٢٠٠٢): تأصيل المفاهيم التربوية: ضرورة أولية للإصلاح التربوى، دار النشر للجامعات، القاهرة .

١٠٤- هارمان، جاك(٢٠١٠): خطابات علم الاجتماع فى النظرية الاجتماعية، ترجمة: العياشى عنصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن.

١٠٥- وطفة، علـى أسـعد(٢٠٠٣): مفهـوم التربيـة بـين إشـكالية البنـاء ومقتضـيات التعريـب: إضـاءات جديـدة فـى منهجيـة بنـاء المفهـوم وتعريبـه، مجلـة التعريـب، المركـز العربـى للتعريب والترجمة والتأليف، دمشق، سوريا، المجلد(١٣)، العدد(٢٥).

١٠٦- وهبـة، مـراد(٢٠٠٧): المعجـم الفلسـفى، دار قبـاء الحديثـة للطباعـة والنشـر والتوزيـع، القاهرة.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Alkire, S. (2002) :Global Citizenship And Common Values, In: Dower,N. & Williams,J. (Eds): Global Citizenship: A Critical Reader, Edinburgh University Press, Edinburgh.

2- Andreotti,V.(2006): Soft versus critical global citizenship education, Policy & Practice, Adevelopment Education Review, issue.(3).

3- Cabrera, L. (2010): The Practice of Global Citizenship, Cambridge University Press.

4- Commaerts, B. & Van Audenhove, L. (2005): Online political debate, unbounded citizenship, and the problematic nature of a transnational public sphere, Political communication, Vol.(22), No.(2).

5- Davies, L. (2006): Global Citizenship: Abstraction orFramework for Action?, Educational Review, Vol . (58), issue.(1).

6- Dobson, A. (2005): Globalisation, Cosmopolitanism and The Environment, International Relations, Vol. (19).

7- Dobson, A. (2006): Thick Cosmopolitanism, Political Studies, Vol.(54) .

8- Eðvarðsson, J. R.(2012): Global Citizenship, Final assignment, Faculty of Social Sciences (á Hug- og félagsvísindasviði), Iceland.

9- Johnson,H. (2008): National Identity, Citizenship and Cosmopolitanism: Unpacking the Terms in British Schooling, Education Discussion Paper, Faculty of arts and social science, School of Education, Kingston University, London, vol.(1).

10- Rae,L. & Baker,R (2011): Global Perspectives: A framework for global education in Australian schools, Education Services, Australia

11- Miller, D. (1999): 'Bounded Citizenship', in K. Hutchings & R. Dannreuther (eds): Cosmopolitan Citizenship, Palgrave, Macmillan, Basingstoke.
12- Osler, A& Starkey, H. (2005): Changing Citizenship: Democracy and Inclusion in Education, Open University Press, Berkshire.
13- Oxley ,L.& Morris ,P.(2013):Global Citizenship: A Typology for Distinguishing its Multiple Conceptions, British Journal of Education studies, vol.(61), issue .(3).
14- Stephens, A. C (2010): Citizenship without Community: Time, Design and the City, Citizenship Studies, Vol.(14), No.(1).
15- The Encyclopedia Britannica, 1992,: 15th ed, Encyclopedia Britannica Inc,Univercity of Chicago press, Chicago.
16- The world book encyclopedia (1996): Vol.(4) CI-CZ, The world book Inc, london.
17- Thompson, J. (2001): Planetary Citizenship: Definition and Defense of an Ideal. In B.Gleeson & N. Low (Eds): Governing For the Environment: Global Problems, Ethics and Democracy. Palgrave Macmillan, Basingstoke, Hampshire, England.
18- UNESCO (2015) :Global Citizenship Education:Topics and Learning Objectives, the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, Paris, France.
19- Widdows, H. (2017): Global Ethics: Foundations and Methodologies. In J. Eade& D.O'Byrne (Eds): Global Ethics and Civil Society, Routledg, London.
20- Wintersteiner, W. & et al (2015): Global Citizenship Education: Citizenship Education for Globalizing Societies, the Austrian Commission for UNESCO, Klagenfurt, Salzburg, Vienna.

A proposed constructive vision for the settlement of Incoming concepts in the Arab educational thought in the light of the reconstruction of concepts Approach "The concept of Global Citizenship as a Model"

Abstract

The need to settle the Western Incoming concepts of Arab thought has become an urgent necessity in the context of global conditions that have made it difficult to avoid the processes of culture and cultural friction with other cultures, and those processes followed by delegations of concepts loaded with meanings and contents are the product of their environments, and thus come the process of reconstructing the imported concepts as necessary and an essential tool to deal with such concepts; to reveal their implications, and ambiguities, and to determine their applicability in the Arab educational thought and the potential of their educational use. Based on this, the aim of the research is to develop a proposed constructive vision for the settlement of the Incoming concepts of Arab educational thought in the light of the re-conceptualization of concepts and the application of the concept of global citizenship as an attempt to determine the implications and ambiguities of this concept and to address all factors of alienation, Ambiguity and contradiction, and the irrationality surrounding the concept and its reconstruction in order to settle it and employ it educationally in a manner that is compatible with the nature of educational thought and the principles of Arab education.

Keywords:

Reconstruction of concepts, Settlement of the concepts, Incoming concepts, Global citizenship, Educational thought.